يوم عاشوراء بين السنة والبدعة

مجلة ▪ إسلامية ▪ ثقافية ▪ شهرية

التوحيد

ALTAWHEED

تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

الهجرة وأصناف الناس فيها

الإيمان عند أهل السنة والجماعة

العدد ٤٣٣ - السنة السابعة والثلاثون - المحرم ١٤٢٩هـ - الثمن ١٥٠ قرشا

١٤٢٩هـ
١٤٢٩هـ
١٤٢٩هـ
١٤٢٩هـ
١٤٢٩هـ

عام جديد ونداءات الرحمة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

مجلة التوحيد
إسلامية - ثقافية - شهرية
السنة السابعة والثلاثون
العدد ٤٣٣ المحرم ١٤٢٩هـ

رئيس مجلس الإدارة
د. جمال المراكبي

المشرف العام
د. عبد الله شاكر الجنيدي

اللجنة العلمية
د. عبد العظيم بدوي
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

سكرتير التحرير
مصطفى خليل أبو المعاطي

التحرير
٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

المركز العام
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

السلام عليكم

التوحيد مفزع الخلائق

توحيد الله عز وجل مفزع أعدائه وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة، ولذلك فزع إليه يونس- عليه السلام- فنجاه الله تعالى من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذّب به المشركين في الدنيا، وما أعدّ لهم في الآخرة.

ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق الذي ليس منه فكاك لم ينفعه ؛ لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل، هذه سنة الله تعالى في عباده فما نُفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» التي ما دعى بها مكروب إلا فرج الله تعالى كربه بالتوحيد، فلا يلقي في الكرب العظيم إلاَّ الشرك، ولا ينجي منه إلاَّ التوحيد، فهو مَفْزَع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها.

فالحمد لله على نعمة التوحيد.

التحرير

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

مفاجأة كبرى

لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٦ مجلداً من مجلة التوحيد عن ٣٦ سنة كاملة

التوحيد
عام جديد ونداءات الرحمة

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحة العدد: الإيمان عند أهل السنة والجماعة
الرئيس العام ٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير ٦
باب التفسير: تفسير سورة البروج
د. عبد العظيم بدوي ١٠
باب السنة: من البيوع المنهي عنها: زكريا حسيني ١٤
الهجرة وأصناف الناس فيها: سعيد عامر ١٨
درر البحار ٢١
منبر الحرمين: وصايا للمسلمين في المحن
الشيخ صلاح البدير ٢٣
خاتم الأنبياء والمرسلين رحمة من رب العالمين: إعداد
د. عبد الله شاكر ٢٦
منهج السلف في تأويل الصفات: د. محمد عبد العليم ٢٩
القصة في كتاب الله: عبد الرازق السيد عيد ٣٢
التشابه بين اليهود والرافضة في الغلو: أسامة سليمان ٣٤
واحة التوحيد ٣٦
عام جديد ونداءات الرحمة: أيمن دياب ٣٦
تحذير المسلمين من مشابهة المشركين: معاوية هيكل ٤٣
جزاء المحسنين: عبده أحمد الأقرع ٤٨
الأسرة المسلمة: جمال عبد الرحمن ٥٠
تحذير الداعية: علي حشيش ٥٣
أخطار تهدد البيوت: شوقي عبد الصادق ٥٨
المنهج الإسلامي في وقاية المجتمعات من الفاحشة
متولي البراجيلي ٦٠
يوم عاشوراء بين السنة والبدعة:
الشيخ علي محفوظ ٦٥
وقفات مع كرمات الأولياء
أحمد السيد إبراهيم ٦٧
سجود السهو: صلاح نجيب الدق ٦٩

م دار الجمهورية للصحافة

ثمن النسخة

مصر ١٥٠ قرشا، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١ - في الداخل ٢٠ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢ - في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

البريد الإلكتروني

المجلة:
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
التوزيع والاشتراكات:
SEE2070@HOTMAIL.COM
موقع المجلة على الإنترنت:
WWW.ALTAWHED.COM
موقع المركز العام:
WWW.ELSONNA.COM

منفذ البيع الوحيد
مقر مجلة التوحيد
الدور السابع

٦٦٠ جنيها ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر

٢١٠ دولار لمن يطلبها خارج مصر شاملة سعر الشحن

الافتتاحية

الإيمان عند أهل

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد:

فإن الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل فهو اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعملٌ بالجوارح والأركان، وهو على حد تعبير الحسن البصري (ما وقر في القلب وصدقه العمل) فالعمل من الإيمان ومصداق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة١٧٧).

فجمع الله تعالى في هذه الآية العظيمة الجامعة أمور الإيمان فبدأ بأركان الاعتقاد القلبية وهي الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب المنزلة والأنبياء والمرسلين، ولم يذكر القدر في هذه الآية مع أنه ركن من هذه الأركان كما بين ذلك نبينا محمد ﷺ في حديث جبريل حين سأل عن الإيمان فقال النبي : (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره).

وذلك لأن الإيمان بالقدر يرجع إلى الركن الأول وهو الإيمان بالله عز وجل، فالقدر قدرة الله وكل شيء خلقه الله عز وجل بمشيئته وتقديره كما قال عز وجل ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (القمر٤٩) ولا يستقيم الإيمان بالقدر إلا على ساق الإيمان بالله تعالى وأن الله ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء﴾. ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ كتب الله عز وجل فيه مقادير كل شيء كما قال تعالى ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (يس١٢).

ثم يكون كل شيء بقدرته ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ﴿وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾.

فالإيمان بالقدر هو إيمان بقدرة الله وأنه على كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم وأنه خلق الخلائق على مقتضى علمه وقدرته ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ (الطلاق١٢).

ولهذا لم ينتظم ذكر الإيمان بالقدر مع سائر

السنة والجماعة

بقلم
د. جمال المراكبي
الرئيس العام
WWW.ELMARAKBY.COM

أركان الإيمان في هذه الآية ولا في غيرها من آي القرآن لدخول الإيمان بالقدر في الإيمان بالله عز وجل، فالإيمان بالله عز وجل يشمل ويتضمن الإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره.

ثم ذكر الله عز وجل في هذه الآية العظيمة _آية البر _صنوفاً من الأعمال فقال ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ﴾.

فالمؤمن مع أنه مجبول على حب المال يحبه حباً جماً فإنه يحمله إيمانه على أن ينفق هذا المال فيما يحبه الله عز وجل من وجوه الخير فيعطي ذوي القربى ويصلهم، ويعطى اليتامى والمساكين والسائلين وأبناء السبيل الذين انقطعت بهم السبل، ويفك به العاني ويعتق به الرقاب صدقة يبتغي بها وجه الله عز وجل، وهو مع هذا كله يقيم الصلاة فيؤديها على مواقيتها ويحافظ على شروطها من طهارة وتجمل واستقبال القبلة ويحافظ على خشوعها وحضور القلب فيها كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ ثم هو يؤدي زكاة ماله طيبة بها نفسه ليتطهر بها قلبه وتزكو بها نفسه كما قال الله عز وجل ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة١٠٣].

ثم إن المؤمن في هذا كله حريص على الوفاء بعهده مع الله عز وجل، والوفاء بعهده مع من عاهده من الناس فلا ينكث ولا يغدر ولهذا قال سبحانه ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾.

ثم مدحهم الله عز وجل لصبرهم على طاعة الله وعن معصيته وعلى قضائه وقدره، فهم به راضون وهم عنه راضون وهو سبحانه راضٍ عنهم ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة١٠٠].

﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة:٢٢]، ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة].

والمدح هنا على الإغراء ليثير المولى سبحانه في نفوس المؤمنين الحرص على تحصيل هذا الصبر والمداومة عليه فإن فيه حلاوة طعم الإيمان ولهذا نصب سبحانه كلمة ﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾ مع أن السياق في الآية في محل الرفع، ثم ختم الآية الكريمة ببيان صدقهم في الإيمان قولا وعملاً ووصولهم إلى مرتبة التقوى فقال سبحانه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول (ذاق طعم الإيمان من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً). وقوله ﷺ (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابه سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابه ضراء صبر فكان خيراً له) رواهما مسلم.

والآية الكريمة أبلغ دليل على أن العمل من

> الإيمان بالقدر هو إيمان بقدرة الله وأنه على كل شيء قدير وأنه بكل شيء عليم وأنه خلق الخلائق على مقتضى علمه وقدرته

الإيمان كما هو واضح لكل ذي عقل قال تعالى ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق٣٧].

ومثل هذه الآية في الدلالة تلك الآيات التي افتتح الله بها سورة المؤمنون قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون].

ولقد فطن سلفنا الصالح إلى هذه الحقيقة فذكروا في عقائدهم أن الإيمان قول وعمل، وأن العمل من الإيمان ويدخل في مسمى الإيمان فقالوا: (الإيمان قول وعمل ونية واتباع السنة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية).

وما أحسن صنيع البخاري رحمه الله في كتاب الإيمان من صحيحه فقد ذكر أمور الإيمان واستدل بهذه الآية وبالآيات من مطلع سورة المؤمنون. ثم ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان).

ومراده رحمه الله تعالى أن أمور الإيمان يمكن الوقوف عليها من مثل هذه الآيات وهذه الأحاديث، وقد روى عبد الرزاق في المصنف بإسناده إلى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإيمان فتلا عليه هذه الآية ﴿ليس البر﴾.

وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عمرو- رضى الله عنهما- قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- ﷺ- « أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهُنَّ مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ ». قَالَ حَسَّانُ فَعَدَدْنَا مَا دُونَ مَنِيحَةِ الْعَنْزِ مِنْ رَدِّ السَّلَامِ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ، وَإِمَاطَةِ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَنَحْوِهِ، فَمَا اسْتَطَعْنَا أَنْ نَبْلُغَ خَمْسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً.

والمنيحة هي العطية وهي على وجهين:

الأول: أن يعطي الرجل صاحبه من باب الصلة فتكون له هبة أو صدقة.

والثاني: أن يعطيه ناقة أو شاة ينتفع بحلبها ووبرها زمناً ثم يردها. وهذا هو المراد من الحديث.

وقد تكلم جماعة من العلماء عن أمور الإيمان وحاولوا حصر هذه الشعب، ومن أشهر المصنفات في شعب الإيمان كتاب البيهقي، وكتاب الحليمي قال الحافظ ابن حجر في الفتح قَالَ الْقَاضِي عِيَاض: تَكَلَّفَ جَمَاعَة حَصْر هَذِهِ الشُّعَب بِطَرِيقِ الِاجْتِهَاد، وَفِي الْحُكْم بِكَوْنِ ذَلِكَ هُوَ الْمُرَاد صُعُوبَة.،وَلَا يَقْدَح عَدَم مَعْرِفَة حَصْر ذَلِكَ عَلَى التَّفْصِيل فِي الإيمَان. ا ه. وَلَمْ يَتَّفِقْ مَنْ عَدَّ الشُّعَب عَلَى نَمَط وَاحِد، وَأَقْرَبهَا إِلَى الصَّوَاب طَرِيقَة اِبْن حِبَّان، لَكِنْ لَمْ نَقِف عَلَى بَيَانهَا مِنْ كَلَامه. وَقَدْ لَخَّصْت مِمَّا أَوْرَدُوهُ مَا أَذْكُرهُ، وَهُوَ أَنَّ هَذِهِ الشُّعَب تَتَفَرَّع عَنْ أَعْمَال الْقَلْب، وَأَعْمَال اللِّسَان، وَأَعْمَال الْبَدَن. فَأَعْمَال الْقَلْب فِيهِ الْمُعْتَقَدَات وَالنِّيَّات. وَتَشْتَمِل عَلَى أَرْبَع وَعِشْرِينَ خَصْلَة: الإيمان

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل ونية واتباع السنة، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية

بِاللَّهِ، وَيَدْخُل فِيهِ الإيمَان بِذَاتِهِ وصِفَاته وتَوْحِيده بِأَنَّهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْء، وَاعْتِقَاد حُدُوث مَا دُونه. وَالإيمَان بِمَلائِكَتِهِ، وكُتُبه، ورُسُله، وَالْقَدر خَيْره وشَرّه. وَالإيمَان بِالْيَوْمِ الآخِر، وَيدْخُل فِيهِ الْمسْأَلَة فِي الْقَبْر، وَالْبَعْث، وَالنُّشُور، وَالحِسَاب، وَالمِيزَان، وَالصِّرَاط، وَالجَنَّة وَالنَّار. ومَحَبَّة اللَّه. وَالحُبّ وَالْبُغْض فِيهِ وَمَحَبَّة النَّبِيّ ﷺ، وَاعْتِقَاد تَعْظِيمه، وَيَدْخُل فِيهِ الصَّلَاة عَلَيْهِ، وَاتِّبَاع سُنَّته، وَالإخْلَاص، وَيدْخُل فِيهِ تَرْك الرِّيَاء وَالنِّفَاق، وَالتَّوْبَة، وَالْخَوْف، وَالرَّجَاء، وَالشُّكْر، وَالْوَفَاء، وَالصَّبْر، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ وَالتَّوَكُّل. وَالرَّحْمَة. وَالتَّوَاضُع. وَيَدْخُل فِيهِ تَوْقِير الْكَبِير وَرَحْمَة الصَّغِير. وَتَرْك الْكِبْر وَالْعُجْب. وَتَرْك الحَسَد. وَتَرْك الحِقْد. وَتَرْك الْغَضَب. وَأَعْمَال اللِّسَان، وَتَشْتَمِل عَلَى سَبْع خِصَال: التَّلَفُّظ بِالتَّوْحِيدِ. وَتِلَاوَة الْقُرْآن. وَتَعَلُّم الْعِلْم. وَتَعْلِيمه. وَالدُّعَاء. وَالذِّكْر، وَيَدْخُل فِيهِ الاسْتِغْفَار، وَاجْتِنَاب اللَّغْو. وَأَعْمَال الْبَدَن، وَتَشْتَمِل عَلَى ثَمَان وَثَلَاثِينَ خَصْلَة، مِنْهَا مَا يَخْتَصّ بِالأَعْيَانِ وَهِيَ خَمْس عَشْرَة خَصْلَة: التَّطْهِير حِسًّا وَحُكْمًا، وَيَدْخُل فِيهِ اجْتِنَاب النَّجَاسَات. وَسَتْر الْعَوْرَة. وَالصَّلَاة فَرْضًا وَنَفْلًا. وَالزَّكَاة كَذَلِكَ. وَفَكّ الرِّقَاب. وَالجُود، وَيَدْخُل فِيهِ إطْعَام الطَّعَام وَإِكْرَام الضَّيْف. وَالصِّيَام فَرْضًا وَنَفْلًا. وَالحَجّ، وَالْعُمْرَة كَذَلِكَ. وَالطَّوَاف. وَالاعْتِكَاف. وَالْتِمَاس لَيْلَة الْقَدْر. وَالْفِرَار بِالدِّينِ، وَيَدْخُل فِيهِ الْهِجْرَة مِنْ دَار الشِّرْك. وَالْوَفَاء بِالنَّذْرِ، وَالتَّحَرِّي فِي الأَيْمَان، وَأَدَاء الْكَفَّارَات. وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّق بِالأَتْبَاعِ، وَهِيَ سِتّ خِصَال: التَّعَفُّف بِالنِّكَاحِ، وَالْقِيَام بِحُقُوقِ الْعِيَال ؛ وَبِرّ الْوَالِدَيْنِ، وَفِيهِ اجْتِنَاب الْعُقُوق. وَتَرْبِيَة الأَوْلَاد وَصِلَة الرَّحِم. وَطَاعَة السَّادَة أَوْ الرِّفْق بِالْعَبِيدِ. وَمِنْهَا مَا يَتَعَلَّق بِالْعَامَّةِ، وَهِيَ سَبْع عَشْرَة خَصْلَة: الْقِيَام بِالإمْرَةِ مَعَ الْعَدْل. وَمُتَابَعَة الجَمَاعَة. وَطَاعَة أُولِي الأَمْر. وَالإصْلَاح بَيْن النَّاس، وَيَدْخُل فِيهِ قِتَال الخَوَارِج وَالْبُغَاة. وَالمُعَاوَنَة عَلَى الْبِرّ، وَيَدْخُل فِيهِ الأَمْر بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْي عَنْ المُنْكَر وَإِقَامَة الحُدُود. وَالجِهَاد، وَمِنْهُ المُرَابَطَة. وَأَدَاء الأَمَانَة، وَمِنْهُ أَدَاء الخُمُس. وَالْقَرْض مَعَ وَفَائِهِ. وَإِكْرَام الجَار. وَحُسْن المُعَامَلَة، وَفِيهِ جَمْع المَال مِنْ حِلّه. وَإِنْفَاق المَال فِي حَقّه، وَمِنْهُ تَرْك التَّبْذِير وَالإسْرَاف. وَرَدّ السَّلَام. وَتَشْمِيت الْعَاطِس. وَكَفّ الأَذَى عَنْ النَّاس. وَاجْتِنَاب اللَّهْو وَإِمَاطَة الأَذَى عَنْ الطَّرِيق. فَهَذِهِ تِسْع وَسِتُّونَ خَصْلَة، وَيُمْكِن عَدّهَا تِسْعًا وَسَبْعِينَ خَصْلَة بِاعْتِبَارِ إِفْرَاد مَا ضُمّ بَعْضه إِلَى بَعْض مِمَّا ذُكِرَ. وَاَللَّه أَعْلَم. اهـ.

ومن فضل الله وتوفيقه أن يقف المؤمن على هذه الأمور والشعب العقدية والقولية والعملية علماً وعملاً فيعض عليها بالنواجذ، ويزداد بها إيمانه ويقينه ويرتقي بها في سيره وسلوكه إلى مرضاة الله عز وجل قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) وَلاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ [المؤمنون].

وللحديث بقية إن شاء الله.

كلمة التحرير

عام جديد وأهل السنة المنسيون في إيران

الجزء الثاني

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

الحمد لله مقدِّر الأزمان والآجال، ومبدع الكون على غير سابق مثال، جل ثناؤه يعجز عن وصفه بليغ البيان، أحمده وأشكره وهو أهل للشكر على كل حال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال، وبعد:

فالأمة الإسلامية تودع عامًا مضى وانقضى، ولم يبق منه إلاَّ ذكرى ما تبدى فيه من الخير وتجلَّى، تودِّعُ عامًا مضى كما يودِّع المرء يومه عند انقضائه، وقد تذكَّر ما لقي بين صباحه ومسائه، وما تغلب عليه من حالي كدره وصفائه، حزن وسرور، ضعةً وظهور، سعادة وابتلاء، وأفضل زمان للتصفية والمحاسبة، لتدرك الأمة أن تأسيس الأمور وإحكامها، وتمهيد القواعد وإتمامها رهين استعصامها بكتاب ربها عز وجل، وسنة نبيها ﷺ، فلن تستبدل الأمة ضعفها بقوة وهوانها بعزة إلاَّ إذا عادت إلى ما سطره السلف في العصور الخوالي، من إبراز المحاسن لهذا الدين التي سعد بها المصطفى ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، وأسعدوا بها العالم قرونًا من الزمان: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]، وما ازدهار الأمم ورفعتُها إلا ثمرة الأعمال الصادقة المخلصة التي يقدمها رجالها البررة وبنوها الأوفياء الصادقون.

فالمسافر حين يجتاز مرحلة طويلة من الطريق فيحط الرحال، ويقف ليستريح، فيلتفت وراءه ليرى كم قطع؟ وينظر أمامه ليبصر كم بقي؟ والتاجر تنتهي سنته فيقيم موازينه ويحسب غلته ليعلم ماذا ربح وماذا خسر؟ أينقضي عام ويدخل عام، وتمر الأيام والأعوام دون أن نقف عليها ساعة نستفيق من غفلتنا ونفكر ونعتبر؟ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

التأريخ الهجري نقطة مضيئة في حياة الأمة

فقد أجمع الصحابة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على اختيار التاريخ بهجرة النبي ﷺ؛ لما لهذا الحدث العظيم من مكانة ومنزلة، والذي كان بمثابة الفجر الذي أشرق على الأمة نوره، بعد مخاض ليلٍ طال على الأتباع معاناته وآلامه؛ من أجل ذلك أرخوا به لأحداثهم، لأنه معلم من معالم حضارتهم، وقد جرى على ذلك سلف الأمة.

وينقضي العام فنظن أننا عشناه وزدنا عامًا، وفي الحقيقة قد فقدناه، ونقصنا عامًا من أعمارنا، فكل عام يمضي من أعمارنا نقترب به من الموت، فلنشكر الله أن بلغنا غُرَّة هذا العام، ولعله يكون غُرَّة انطلاقة للجد والاجتهاد في الأعمال الصالحة، وليكن فاتحة شهور العام شهر الله المحرم، فمكانته عظيمة بين الشهور، وأفضل أيامه يوم عاشوراء، الذي انتصر فيه الحق على الباطل، ونصر الله فيه نبيه موسى عليه السلام

على فرعون وقومه، فصامه شكرًا لله عز وجل، وصامه نبينا محمد ﷺ، وحث على صيامه، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ سُئل عن صيام عاشوراء فقال: «أحْتسب على الله أن يُكفِّر السنة التي قبله». (أخرجه مسلمٍ من حديث قتادة رضي الله عنه).

▫▫ إني مهاجر إلى ربي ▫▫

لم تكن الهجرة النبوية حدثًا عاديًا في التاريخ الإسلامي، بل كانت بمثابة نطقة الانطلاق والتحدي في مسار هذا الدين العظيم ومصيره، يستلهم منه المسلمون العظات والعبر، وقد شاء الله سبحانه أن تكون الهجرة بأسباب مألوفة للبشر، يتزود فيها للسفر، ويركب الناقة، ويستأجر الدليل، ولو شاء الله لحمله على البراق، ولكن لتقتدي به أمته، فينصر المسلم دينه بما يَسَّرَه الله من الأسباب.

وأعظم واجب علينا؛ أن ننصر ديننا في أنفسنا بأن نستقيم على طاعة الله عز وجل، وأن ننصره في بيوتنا، فهجرتنا هجرة قلوب، ولكن أين صديق هذا الزمان، الذي يعين على نوائب الدهر، ويبذل كل ماله من أجل دينه؟! ﴿إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، قالها المولى سبحانه وتعالى يوم أن تثاقل بعض المؤمنين عن الخروج في سبيل الله، فذكرهم بأن النصر من عند الله، فيا شباب الإسلام، إلاَّ تنصروا هذا الدين فقد نصره الله... إلاَّ تنصروا محمدًا ﷺ فقد نصره الله!! إلاَّ تنصروا دين الله بإقامة شرعه؛ فقد نصره الله، إلا تنصروا فرائضه فقد نصره الله، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فدين الله غالب، وشمسه مشرقة لا محالة.

ألم يَان لشباب هذه الأمة أن يهجروا كل مظاهر بُعدهم عن دينهم؟! ألم يأن لشباب هذه الأمة أن يهجروا الخلاعة والمجون ويتحلوا بالجد والاجتهاد؟! ألم يان لهم أن يهجروا الإسراف ويتحلَوا بالاقتصاد في الإنفاق والبُعد عن التبذير وإضاعة المال؟ ألم يان لشبابنا أن يتخلَوا عن إضاعة الوقت فيما لا يفيد ويتحلُوا بحُسن اغتنام الأوقات، فاغتنم أيها الشاب فراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك... ألم يان لشبابنا أن يهجروا النظر إلى ما حرُم الله، وأن يتحلوا بغض البصر، فمن صان عِرض غيره؛ صان الله عِرضَهُ، ألم يأن لشبابنا أن يهجروا الكسل إلى الهمة وعليائها، وأن يهجروا التواني إلى الجد والنشاط والتفاني؟! ألم يان لشبابنا أن يهاجروا إلى الله ويهجروا أصدقاء السوء؟! فالمهاجر من هجر السيئات.

▫▫ الغيث أوله الندى ▫▫

أفلت شمس عام مضى، وأشرقت شمس عامٍ جديد فهو على عملك شهيد، ولنا فيه وقفة حساب ومراجعة، يقول الله عزُ وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠]، وتأمل كلام سيد البشر ورسول الإنسانية ﷺ- وهو يبين لنا حقيقتنا في هذه الحياة الدنيا ؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيَّ فقال: «كُن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»، فـ «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك». (أخرجه البخاري).

فحريّ بشباب الأمة أن يقفوا مع أنفسهم وقفة جادة للمراجعة والمحاسبة، ماذا قدمتم لأنفسكم ؟ وماذا أضفتم لرصيدكم، وماذا قدمتم لمجتمعاتكم؟ هل ازددتم قربًا من الله؟ هل ازددتم تمسكًا بسنة نبيكُم؟ هل أقلعتم عن المعاصي؟

▫▫ لم تكن الهجرة النبوية حدثا عاديا في التاريخ الإسلامي، بل كانت بمثابة نقطة الانطلاق والتحدي في مصير هذا الدين العظيم ومساره، من أجل ذلك أرخ الصحابة به لأحداثهم وأيامهم.

هل تخلقتم بخُلقٍ جديد؟ هل جددتم التوبة مع الله عز وجل؟ وما هذه الأيام إلاَّ مراحل يُحثُّ بها داعٍ إلى الموت قاصد، وأعجب شيء لو تأملت أننا منازل تطوى والمسافر قاعدَ.

الهجرة باقية

فيا من فاته ثواب الهجرة إلى الله ورسوله في زمن النبوة، فقد شرع الله لك هجرة من نوع آخر، فيها الثواب العظيم، فاهجر المعصية إلى الطاعة، واهجر التفريط إلى الاستقامة، واهجر التمرد والآثام إلى الانقياد والاستسلام، واهجر الكسل والأمل إلى الجد والاجتهاد والعمل فيما يرضي رب العباد، وهاجر بقلبك من الركون إلى الدنيا والاطمئنان إليها إلى الدار الآخرة والرغبة فيها، قال ﷺ: «المسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما حرَّم الله». (أخرجه البخاري في كتاب الإيمان).

وقال ﷺ: «عِبَادةٌ في الهرج كهجرةٍ إليّ». (رواه مسلم من حديث معقل بن يسار).

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢١٨].

إن حال المسلمين في العالم يوجب الاستفادة من معاني الهجرة النبوية، فلن ينصلح حال المسلمين في هذا العصر إلاَّ بما صلح به سلف هذه الأمة ؛ من التوحيد الخالص، والخُلق القويم، والصدق مع الله، والتوكل عليه، والصبر على المكاره، وإحسان العبادة على وفق ما جاء به النبي ﷺ في السنة المطهرة، قال ﷺ: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلق حسن». (أخرجه أحمد والترمذي من حديث أبي ذر رضي الله عنه).

عام جديد ...وأهل السنة في إيران!!

تحدثنا في العدد الماضي عن أهل السنة المنسيين في إيران ووردت إلينا مئات المكالمات والرسائل تستفسر عن أهل السنة في إيران ومزيدًا من المعلومات عنهم وعن أحوالهم، وما يعانونه في إيران في ظل التعتيم الإعلامي من السلطات الإيرانية والغفلة عنهم من الدول الإسلامية، ونظرة عامة على واقع أهل السنة في إيران والتي ظلّت دولة سُنية حتى القرن العاشر الهجري، وفي الفترة التي كانت فيها البلاد على عقيدة أهل السنة والجماعة قدمت المئات من الفقهاء والمحدثين والمؤرخين والمفسرين من إيران السنية، إلى أن تشيعت، فأصبحت بؤرة صدام ومركزًا للصراع ضد أهل السنة، وعملت الدولة الشيعية الصفوية قديمًا على وقف المَد السني الإسلامي بالتعاون مع قوى الاستعمار في المنطقة.

ومع تضارب المعلومات بشأن الحجم الحقيقي لأهل السنّة في إيران، فالإحصاءات الرسمية للدولة تقول أنهم يشكلون ١٠٪ من تعداد السكان الذي بلغ في عام ٢٠٠٠م ٧٠٫٣ مليون نسمة، بينما تؤكد المصادر السنية والمستقلة أنهم يشكلون ثلث تعداد سكان إيران، ويتوزع السكان في إيران بين عدة جماعات أهمها وفقًا لبيان رسمي صادر عن وكالات الأنباء الإيرانية: الفارسي ٥١٪، والأذري ٢٤٪، والجيلكي والمازندراني ٨٪، والعربي ٣٪، والكردي ٧٪، واللور ٢٪، والبلوش ٢٪، والترك ٢٪، وعناصر أخرى ١٪، كما تتنوع الأديان والمذاهب وتتوزع بين الشيعة ٦٥٪، والسنة ٢٥٪، والطوائف اليهودية

مع بداية عام جديد حري بشباب الأمة أن يقفوا مع أنفسهم وقفة جادة للمراجعة والمحاسبة، ولينظروا ماذا قدموا لهذا الدين العظيم.

والنصرانية والبهائية والزرادشتية ١٠٪، وأحد المزارات الرئيسية في إيران هو قبر أبي لؤلؤة المجوسي (عليه لعنة الله)، ورغم أنه من عبدة النار، إلاَّ أنهم يحتفون به لمجرد أنه قاتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين، بل يطوفون حول قبره ويدعون الله أن يحشرهم معه!!

فيا له من حقد دفين على صحابة النبي الأمين ﷺ.

والسنَّة في إيران مقسمون إلى ثلاث عرقيات رئيسية هي الأكراد والبلوش والتركمان، وقليل من العرب في إقليم عربستان «الأحواز» المحتل ويسكنون بالقرب من خطوط الحدود التي تفصل إيران عن الدول المجاورة ذات الأغلبية السنية مثل أفغانستان وباكستان والعراق وتركمنستان، أما المسلمون السنَّة من العرق الفارسي فوجودهم نادر التي يقطنها.

المناطق أهل السنة في إيران

وكما ذكرنا آنفًا فتوجد أهل السنة في إيران في المناطق الحدودية، ومدن وأقاليم متفرقة ومنفصلة عن بعضها البعض ونذكرها على النحو التالي:

١- محافظة كردستان: وهي واقعة في غرب إيران، ويشكل الشعب الكردي فيها نسبة ١٠٠٪ من سكان المحافظة.

٢- محافظة أذربيجان الغربية: وتقع في شمال غرب إيران، ويشكل أهل السنة من الشعب الكردي أكثر نسبة من سكانها.

٣- محافظة كرمنشاه: الواقعة في شرق وجنوب شرق إيران والتي يشكل الشعب الكردي المسلم أكبر نسبة من سكانها، ومركز المحافظة مدينة كرمتشاه.

٤- منطقة تركمان صحراء: الواقعة في شمال إيران أي من سواحل بحر قزوين إلى الحدود الجنوبية لدولة تركمنستان.

٥- محافظة حراسان: وتقع في شمال إيران وتمتد إلى حدود أفغانستان في شرق إيران.

٦- محافظة سيستان وبلوشتان: وتقع في جنوب شرق إيران ويشكل الشعب البلوشي أكبر نسبة من سكانها.

٧- محافظة هرمزكان: وخاصة مدينة بندر عباس وضواحيها وجزيرة قشم والمناطق الواقعة على سواحل الخليج وبحر عمان.

٨- محافظة فارس: وخاصة في منطقة «لارستان» وضواحيها وقراها.

٩- مدينة بوشهر والمناطق والقرى المحيطة بها.

١٠- ضواحي مدينة خلخال التابعة لمحافظة أردبيل.

١١- مناطق طوالس وعنيران الواقعتان في غرب قزوين في الشمال.

والسنة في إيران هم الأكثر فقرًا والأقل تعليمًا والأبعد سكنًا عن العاصمة طهران!! وهو أمر يرجع إلى عام ١٥٠٠م إبان الدولة الصفوية، وتحديد في عهد الشاه «إسماعيل الصفوي» الذي أصدر قانونًا بطرد أهل السنة من العاصمة، على أن يعيشوا في الأطراف.

وبعدُ: فهذه لمحة سريعة عن اضطهاد الرافضة لأهل السنة في إيران، ندعو الله العلي القدير أن ييسر لأهل السنة في إيران، وأن يحررهم من براثن الشيعة الرافضة، وأن يكون العام الهجري الجديد عامًا لإعلاء كلمة التوحيد، ونشر السنة في العالمين، اللهم مكن لدينك في الأرض، وافتح له قلوب الناس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

> أهل السنة في إيران يعانون من قِبل الروافض أشد المعاناة، ويعيشون اضطهادًا في كل وقت، في ظل التعتيم الإعلامي من السلطات الإيرانية، والغفلة من الدول الإسلامية.

باب التفسير

سورة البروج

قال تعالى: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١١) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٢) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٣) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٤) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ (١٥) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٦) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (١٩) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢٠) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾.

إعداد / د. عبد العظيم بدوي

بين يدي السورة

سورة مكية، أُفردت للحديث عن تضحية المؤمنين في كل زمان من أجل الدِّين، تشجيعًا للنبيِّ ﷺ وللمؤمنين على التضحية، وحثًّا لهم على الصبر على الأذى، فإن الله جاعلُ العاقبة لهم، كما جعلها لإخوانهم من قبلهم.

تفسير الآيات

قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ الواوُ للقسم، والمعنى: أُقْسِمُ بالسماءِ ذات البروج، والبروجُ هي منازِلُ الكواكبِ والنجوم، وهي بمنزلة القصور. وقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ فسَّر النبي ﷺ هذه الثلاثة فقال: «اليوم الموعودُ: يومُ القيامة، والشاهدُ: يومُ الجمعة، والمشهودُ: يومُ عرفة».

وجوابُ القسم محذوفٌ، تقديرُه: إنَّ ما جاء في هذه السورة لحقّ، أو: إنَّ انتقام الله ممن عذَّب أولياءه لواقع. ولهذا قال بعد القسم: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ أي: لُعِنُوا، والأُخْدُود هو الخندقُ الذي يُحْفَرُ في الأرض، وأصحابُ الأخدود هم جنودٌ لملكٍ ظالم كان النَّاس يعبدونه من دون الله، ثم هداهم الله فآمنوا بالله وكفروا بالملك. فأمَرَ أصحابَه فخدُّوا الأخاديد وأضْرَمُوه نارًا، وقال لهم: مَنْ رجعَ عن دينه فاتركوه، ومن أَبى فأَقْحِمُوه فيها، ثم جلس ينظر إلى المؤمنين وهم يُلْقون في النار، فجمعوا بذلك بين الظلم وقسوة القلب، قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ أي: ما عابوا عليهم ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو رب كل شيء ومليكه، وهو المستحقّ للعبادة دون سواه، فكما أنَّه لا رب غيره، فكذلك لا معبود سواه، وقوله

تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يعني: أنَّه لم يَخْفَ عليه سبحانه ما فعله هؤلاء الطغاة بأوليائه المؤمنين، فلقد رآهم، وشَهِدَ ما فعلوه بهم من التعذيب والتحريق، وسيجزيهم بمثل ما فعلوه بأوليائه، ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾، لكن انظروا إلى لُطْفِ اللطيف، وكرم الكريم سبحانه، إنَّه حين يتوعَّدهم يُعلِّق وعيدَه بعدم توبتهم، فيقول: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ ومعناه: أنهم إن تابوا بعد هذه الجريمة العظيمة تاب عليهم، وفي هذا إرشادٌ لجميع العصاةِ والمذنبين إلى أنه لا يجوزُ القنوطُ من رحمة الله، فـ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر].

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ بيانٌ لما أعده لأوليائه، بعد بيان ما أعدَّه لأعدائه قتلة أوليائه، ولما كان النبي ﷺ المبين عن الله عز وجل مراده، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، فقد بيَّن ﷺ قصة أصحاب الأخدود أحسن بيان، فقال ﷺ: «كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كَبِرَ قال للملك: إني قد كَبِرْتُ، فابعثْ إليَّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذ أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحرُ أفضل أم الراهبُ أفضل ؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم إنْ كان أمرُ الراهبِ أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس. فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: أي بني ! أنت اليوم أفضلُ مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتُليت فلا تدلَّ عليَّ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك كان قد عميَ، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمعُ، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك. فآمن بالله فشفاه اللهُ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: مَن رد عليك بصرك ؟ قال: ربي. قال: ولك ربٌّ غيري ؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الغلام. فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل. فقال: إنّي لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى. فدعا بالمنشار، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقَّاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى. فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقَّاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى. فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به إلى الجبل، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال: ما فعل أصحابك ؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه، فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقُورٍ، فتوسَّطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك ؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك: إنَّك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو ؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذعٍ، ثم خُذ سهمًا من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام، ثم ارمني، فإنك إن فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صدغ الصبي، فوضع يده

في صدغه في موضع السهم فمات. فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس. فأمر بالأخاديد في أفواه السكك فَخُدَّتْ، وأضرم النيران، وقال: مَن لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق».

وفي هذه القصة فوائد:

الأولى: أن السحر يكون بالتعليم ؛ لقول الساحر للملك: فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحر، وقول الله تعالى: ﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾ الآية (البقرة: ١٠٢).

وتعلمه حرام، ولا يجوز بحال، وهو إما أن يكون كُفرًا أو معصية دون الكفر، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله: يُقالُ للساحر: اعرض علينا سحرك، فإن وجدنا فيه كُفرًا حكمنا بكفره، وإن وجدنا فيه فسقًا حكمنا بفسقه، وغير الكفر منه كبيرة من الكبائر، كما قال النبي ﷺ : «اجتنبوا السبع الموبقات». قالوا: يا رسول الله، وما هنّ ؟ قال: «الشّرك بالله، والسّحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

الثانية: أن الإنسان قد يجتمع فيه الخير والشر، والإيمان والكفر، وذلك حين تختلط عليه الأمور، ويلتبس الحق بالباطل، كما كان حال الغلام قبل قتل الدابة.

الثالثة: ثبوتُ كرامات الأولياء، إذ إنّ الله سبحانه قتل دابة عظيمة، بحجر صغير، رماه الغلام، ولم تجر العادة بأنّ مثل هذا الحجر يقتل، والإيمان بكرامات الأولياء من عقيدة أهل السنة والجماعة. قال تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧]، ولكنّ الولي الصادق لا يفتخر بما يجريه الله على يديه من الكرامات، وما خَفِيَ منه لا يُظهره، وما ظهر منه لا يحتج به على فضله ؛ لأنه بذلك يزكي نفسه، وقد نهى الله عن تزكية النفس فقال: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴾ [النجم: ٣٢]. ولذلك لما رأى الغلام الدابة قد حبست الناس وأراد قتلها، فقتلها الله، لم يدع الغلام الناس إلى رؤية ما يصنع لا قبل الرمي ولا بعده، ولم يدّع لنفسه أي شرفٍ أو مزية على الناس بعد قتلها، بل أتى الراهب في خفاء، كما كان يأتيه، فأخبره الخبر.

وبذلك يعلم الناس أن هؤلاء- المشايخ- الذين يَدْعُونهم إلى مشاهدة كراماتهم ليسوا أولياء، وإنما هم دجالون، لأن الكرامة أولاً شيءٌ بيد الله يُظهره على يد من شاء، متى شاء، وليست بيد الولي نفسه، يظهرها متى شاء، ولو كان هؤلاء أولياء لاستخفوا من الناس حتى لا يروا خوارق العادات على أيديهم، كما يستخفون عنهم بمعاصيهم.

الرابعة: أن الطالب قد يفوق أستاذه، وأن من صدق الأستاذ مع نفسه وغيره إذا رأى لطالبٍ فضلاً عليه أن يعترف له بذلك، وأن ذلك لا يقدح في الأستاذ، بل يعزه ويرفعه، ولهذا قال الراهب للغلام: أي بنيّ، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى.

الخامسة: أن الابتلاء سُنة من سنن الله مع أوليائه وعباده الصالحين، ولذا قال الراهبُ للغلام: وإنك ستبتلى. يعني: ما دام قد بلغ من أمرك ما أرى، فلا بد أن تبتلى تمحيصًا، ويشهد لذلك قول ربنا: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

السادسة: زُهدُ الدعاة في حكم الدنيا، وعدم أخذهم الأجر على الدعوة إلى الله.

فإنه لما جاء جليس الملك للغلام بهدايا كثيرة وقال: كل ما ههنا لك أجمعُ إن أنت شفيتني. قال: إني لا أشفي أحدًا... ومعناه: لا أستحق شيئًا من

هذه الهدايا.

السابعة: حرصُ أولياء الله على سلامة معتقدات العباد، وتعليق قلوبهم بالله وحده، فإنّ الغلام قال لجليس الملك: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله. فمن عُرف بأنه مستجاب الدعوة- مثلاً- فعليه إذا دعا لأحد أن يصرف قلوبهم عن التعلق به إلى التعلق بالله عز وجل، وأن يعرفهم أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضراً، وكذلك مَنْ عُرِفَ بمداواة النّاس بالرُّقى أو بالطبّ، يجب أن يعلمهم أنه يرقيهم- فقط- والله يشفيهم.

الثامنة: أن الإيمان أعظم ما يتوسل به العبد إلى ربه، ولذا قال الغلام لجليس الملك: إنّي لا أشفي أحدًا، وإنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك. وقد كثر في القرآن مدح: ﴿الّذِينَ يَقُولُونَ رَبّنَا إِنّنَا آمَنّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النّارِ﴾ [آل عمران: ١٦].

﴿رَبّنَا آمَنّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩]. ﴿رَبّنَا إِنّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبّكُمْ فَآمَنّا رَبّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفّرْ عَنّا سَيّئَاتِنَا وَتَوَفّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

التاسعة: أنّ الله تعالى يستجيبُ الدعواتِ، ويقضي الحاجات، ويظهر ذلك جلياً في إجابة دعوة الغلام لجليس الملك بالشفاء، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى.

العاشرة: أن الله تعالى يكفي أولياءه وينصرهم، وإن اجتمع أهلُ السماوات والأرض، ويظهرُ ذلك جلياً في قول الغلام: اللهم اكفنيهم بما شئت.

الحادية عشرة: حرصُ الدعاة على دخول الناس في دين الله، ولو أدّى ذلك إلى قتلهم، ولذلك دلّ الغلامُ الملكَ على الطريقة التي يمكن أن يقتله بها، شريطة أن يجمع الناس في صعيد واحد، ويشهدوا قتل الغلام، فلما قتله قال الناس: آمنا برب الغلام، وكان لسان حال الغلام يقول: ﴿ذَلِكَ مَا كُنّا نَبْغِ﴾ [الكهف: ٦٤].

﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧].

يقول تعالى مطمئنًا نبيه ﷺ ومتوعدًا من كذبه: ﴿إِنّ بَطْشَ رَبّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أي: إن بطش ربك يا نبينا وانتقامه من أعدائه الذين آذوك وكذبوك، لعظيم قوي شديد، ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف]، ﴿إِنّمَا نَعُدّ لَهُمْ عَداً﴾ [مريم].

وقوله تعالى: ﴿إِنّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ يعني: إنه سبحانه يبدئ الخلق ويعيدهم كما خلقهم، وهذا من تمام قدرته سبحانه، وهو على أخذهم وتعذيبهم إذا يشاء قدير، ﴿وهو﴾ مع هذه القدرة ﴿الغفور﴾ لمن تاب وعمل صالحًا ثم اهتدى، ﴿الودود﴾ الذي يتحبب إلى أوليائه فيحبهم ويحبونه، وهو سبحانه ﴿ذو العرش﴾ أي صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته أن الكرسي الذي هو بين يديه كالمرقاة إليه، وسع السماوات والأرض، فكيف بالعرش نفسه ؟! فلا يعلم عظمة العرش إلا الله الذي استوى عليه، وهو سبحانه ﴿المجيد﴾ الذي هو أهل الثناء كما مجد نفسه، وهو الممجّد على اختلاف الألسن وتباين اللغات بأنواع التمجيد، وهو سبحانه ﴿فعّال لما يريد﴾ فما شاء كان، وإن لم يشأ العباد، ﴿إِنّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس].

وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ أي: قد بلغك ما أحل الله بهم من البأس، وما أذاقهم من العذاب، لما كذبوا رسلهم، فاصبر على أذى قومك، فإنهم إن لم يؤمنوا حاق بهم من العذاب مثل ما حاق بفرعون وثمود أو أشد.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ الّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ أي: هم في شكّ وريب، وكفر وعناد، ﴿وَاللّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ قد أحاط بهم علمًا، وأحاط بهم قدرة، وهم في قبضته سبحانه، فلا يعجزونه، ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ أي: عظيم كريم، ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل، وعْدَ الله حيث قال: ﴿إِنّا نَحْنُ نَزّلْنَا الذّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب السنة

من البيوع المنهي عنها

الحلقة الرابعة

إعداد / زكريا حسيني

الحمد لله رب العالمين، نحمده حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، ونصلي ونسلم على خير خلق الله والمصطفى رحمة وهداية للناس جميعًا، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

وبعد:

فنواصل الكلام عن البيوع التي نهى عنها الشارع، والتي سبق الكلام عليها في ثلاثة أعداد سابقة، فنقول مستعينين بالله تعالى:

٧- بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها:

أ- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، نهى البائع والمبتاع.

هذا الحديث متفق عليه، أخرجه الإمام البخاري في ستة مواضع من صحيحه ؛ فأخرجه بالأرقام (١٤٨٦، ٢١٨٣، ٢١٩٤، ٢١٩٩، ٢٢٤٧، ٢٢٤٩)، وأخرجه الإمام مسلم برقم (١٥٣٤).

ب- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى تزهي، فقيل له: وما تزهي ؟ قال: «حتى تَحْمَرّ». فقال رسول الله ﷺ : «أرأيت إذا منع الله الثمرة، بم يأخذ أحدكم مال أخيه؟».

هذا الحديث متفق عليه أيضًا ؛ أخرجه الإمام البخاري في خمسة مواضع من صحيحه بالأرقام (١٤٨٨، ٢١٩٥، ٢١٩٧، ٢١٩٨، ٢٢٠٨)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم (١٥٥٥).

جـ- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نهى النبي ﷺ أن تباع الثمرة حتى تُشْقِحَ. فقيل: وما تشقح ؟ قال: تَحْمَارُّ وتَصْفَارُّ ويؤكل منها.

د- وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كان الناس في عهد رسول الله ﷺ يتبايعون الثمار، فإذا أَجَذَّ الناس وحضر تقاضيهم قال المبتاع: إنه أصاب الثمر الدُّمَان، أصابه مُرَاض، أصابه قُشَامٌ- عاهات يحتجون بها- فقال رسول الله ﷺ لما كثرت عنده الخصومة في ذلك: «فإمَّا لا فلا تتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر» كالمشورة يشير بها لكثرة خصومتهم. قال أبو الزناد: وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت: أن زيد بن ثابت لم يكن يبيع ثمار أرضه حتى تطلع الثريا، فيتبين الأصفر من الأحمر.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في موضع واحد في باب: بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها برقم (٢١٩٣).

◻◻ شرح الأحاديث ◻◻

أولاً: المفردات التي في هذه الأحاديث:

يبدو: أي يظهر، الثمار: جمع ثمرة، قال الحافظ في الفتح: وهي أعم من الرطب وغيره. المبتاع: المشتري. تزهو: أي تصير زَهْوًا: وهو الأحمر أو الأصفر من ثمر النخل، ويكون في المرحلة التي بين البلح «الأخضر» وبين الرُّطب.

تُشْقِحُ: من أَشْقَحَ ثمر النخل إذا احْمرَّ أو اصْفَرَّ. تحمارُّ وتصفارُّ: قيل المراد بداية التلون

باللون الأحمر والأصفر. وأنكر هذا بعض أهل اللغة وقال: لا فرق بين تحمر وتصفر وتحمار وتصفار. قال ابن حجر: ويحتمل أن يكون المراد المبالغة في احمرارها واصفرارها، كما تقرر أن الزيادة تدل على التكثير والمبالغة.

الدُّمَّان: بفتح أوله، وقيل: بالضم، قال القاضي عياض: وهما صحيحان، وقيل: الأَدَمان، وفسره بأنه فساد الطلع وتعفنه وسواده، وعن الأصعمي: الدمال باللام: العفن. وقال القزار: الدمان فساد النخل قبل إدراكه، وإنما يقع ذلك في الطلع، قال الحافظ: ووقع في رواية يونس الدمار بالراء بدل النون وهو تصحيف كما قال عياض: ووَجَّهَهُ غيره بأنه أراد الهلاك، كأنه قرأه بفتح أوله.

مُرَاضٌ: قال الحافظ: هذا في رواية الكشمهيني والنسفي، ولغيرهما «مَرَضٌ». فأما مِرَاضٌ فبكسر أوله للأكثر، وقال الخطابي: بضمه، وهو اسم لجميع الأمراض بوزن (الصُدَاع- والنُعال)، وهو داء يقع في الثمرة فتهلك، يقال: أَمْرَضَ إذا وقع في ماله عاهة، وزاد الطحاوي في روايته: «أصابه عَفَنٌ».

قُشَامٌ: زاد الطحاوي في روايته: «والقُشَامُ شيء يصيبه حتى لا يرطب، وقال الأصمعي: هو أن ينتقص ثمر النخل قبل أن يصير بَلَحًا، وقيل: هو أُكَالٌ يقع في الثمر.

عاهات: جمع عاهة، وهو بدل من المذكورات قبله، والعاهة: العيب والآفة، والمراد بها هنا ما يصيب الثمر مما ذكر.

فإمَّالا: أصلها إنْ الشرطية وما زائدة فأدغمت. وهي مثل قوله: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا ﴾، فاكتفى بلفظه عن الفعل، وهو نظير قولهم: من أكرمني أكرمته ومن لا فلا، أي: ومن لم يكرمني لم أكرمه.

والمعنى: إن لم تفعل كذا فافعل كذا.

قوله: «كالمشُوْرة»: بضم الشين وسكون الواو، وبسكون الشين وفتح الواو ؛ لغتان، قال الحافظ: وزعم الحريري أن الإسكان من لحن العامة، وليس كذلك، فقد أثبتها صاحب الجامع وصاحب الصحاح، وصاحب المحكم وغيرهم.

قوله: «حتى تطلع الثريا» أي: مع الفجر، وقد روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعًا قال: «إذا طلع النجم صباحًا رفعت العاهة عن كل بلد». وفي رواية عن عطاء عن أبي هريرة: «رفعت العاهة عن الثمار». قال الحافظ: والنجم هو الثريا، وطلوعها صباحًا يقع في أول فصل الصيف عند اشتداد الحر في بلاد الحجاز وابتداء نضج الثمار. فالمعتبر في الحقيقة النضج، وطلوع النجم علامة له. وقد بينه في الحديث بقوله: «حتى يتبين الأصفر من الأحمر».

وروى أحمد من طريق عثمان بن عبد الله بن سراقة: سألت ابن عمر- رضي الله عنهما- عن بيع الثمار، فقال: «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الثمار حتى تذهب العاهة، قلت: ومتى ذلك ؟ قال: حتى تطلع الثريا».

ووقع في رواية ابن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة عن أبيه: «قدم رسول الله ﷺ المدينة ونحن نتبايع الثمار قبل أن يبدو صلاحها، فسمع خصومة، فقال: ما هذا ؟» فذكر الحديث، فأفاد مع ذكر السبب وقت النهي.

ثانيًا: المعنى الإجمالي لهذه الأحاديث:

نهى رسول الله ﷺ عن هذا النوع من البيع ؛ وهو بيع الثمار قبل بدو صلاحها، لأنها قبل ذلك تكون معرضة للآفات والعاهات التي تصيبها فيصبح فيها نوع من الغرر، ومِنْ أكل أموال الناس بالباطل، وقد حرص الإسلام على إبقاء الألفة والمودة بين الناس ومنع الخصومات والمنازعات بينهم، وعلى ألا يأكل بعضهم مال أخيه بالباطل، فلذلك نهى رسول الله ﷺ البائع والمشتري، فأما البائع فلئلا يأكل مال المشتري بالباطل إذا وقعت جائحة فاجتاحت الثمرة فبأي حق يأكل مال أخيه ؟ وأما المشتري فلئلا يضيع ماله ويساعد أخاه البائع على الباطل. ومقتضى النهي الذي في هذه الأحاديث جواز بيع الثمار بعد بدو صلاحها مطلقًا سواء اشترط الإبقاء أم لم يشترط ؛ لأن ما بعد الغاية مخالف لما قبلها، وقد جعل النهي ممتدًا إلى غاية بدو الصلاح، والمعنى فيه أن تؤمن العاهة وتغلب السلامة فيثق المشتري بحصولها، فحينئذ يقبل على الثمرة وهو مطئمن بحصول عوضه عن المال الذي يدفعه للبائع، وبمثل هذه الأحكام تتبين محاسن الشريعة الإسلامية التي هي شرعة رب العالمين لعباده، فقد شرع سبحانه ما فيه مصلحة العباد ومنافعهم.

ثالثًا: الأحكام التي في هذه الأحاديث:

١- لا يجوز بيع الثمار قبل بدو صلاحها فإن بَدَا صلاحها جاز بيعها، وإلى ذلك ذهب الجمهور، وعن أبي حنيفة إنما يجوز بيعها قبل بدو صلاحها حيث لا يشترط إبقاءها في الشجر، فإن شرط لم يصح البيع.

٢- اختلف السلف في بدو الصلاح:

أ- هل المراد به جنس الثمار بحيث لو بدا الصلاح في بستان من البلد مثلاً جاز بيع ثمرة جميع البساتين وإن لم يَبْدُ الصلاح فيها ؟ إلى هذا ذهب الليث بن سعد، وهو عند المالكية بشرط أن يكون الصلاح متلاحقًا.

ب- أو المراد بدو الصلاح في كل بستان على حدة. وهو قول أحمد بن حنبل.

جـ- أو المراد بدو الصلاح في كل جنس على حدة، وهو قول الشافعية.

د- أو المراد بدو الصلاح في كل شجرة على حدة، وهو قول للإمام أحمد أيضًا.

٣- فإن بيعت الثمرة قبل بدو صلاحها ثم تلفت بجائحة أو عاهة فيرجع المشتري على البائع بالثمن.

٤- وإن بيعت الثمرة بعد بدو صلاحها، ثم أصابتها عاهة فلا يحل للبائع أن يأخذ الثمن، وذلك لحديث جابر عند مسلم: قال رسول الله ﷺ : «لو بعت من أخيك ثمرًا فأصابته عاهة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئًا، بم تأخذ مال أخيك بغير حق؟».

رابعًا: بم يعرف بدو الصلاح ؟

ذكر الشافعية ثماني علامات يعرف بها بدو الصلاح:

أحدها: اللون في كل ثمر مأكول ملون إذا أخذ في حمرة أو سواد أو صفرة كالبلح والعناب والمشمش.

ثانيها: الطعم ؛ كحلاوة القصب وحموضة الرمان.

ثالثها: النضج واللين كالتين والبطيخ.

رابعها: القوة والاشتداد كالقمح والشعير.

خامسها: الطول والامتلاء كالعلف والبقول.

سادسها: الكِبَرُ كالقثاء بحيث يؤكل.

سابعها: انشقاق أكمامه كالقطن والجوز.

ثامنها: الانفتاح كالورد.

وقد وضع له كل من الأحناف والمالكية والحنابلة ضابطًا، اختلفت في ألفاظها، وفي طولها وقصرها، ولكن مؤداها أن تصلح الثمرة لتناول بني آدم، وعلف الدواب فيتنفع بها.

وبعد ؛ فإن كثيرًا من تجار الفاكهة يتبايعون الثمر وهو زهر على الشجر، مخالفين بذلك أحكام الشرع فيخسر الواحد منهم لما يصيب الثمرة من التلف، وقد تأتي ريح عاصفة فتنزل الزهر من الشجر فيقلُّ الثمر أو ينعدم بعد أن اشتراه، فتكون خسارته بالغة، والبائع قد باع ولا يرد إلى المشتري شيئًا بحجة أن البيع قد تم عن تراض، وأن البائع لم يجبر المشتري على شراء سلعته، فالله المستعان.

وقد يزيد بعض التجار على ذلك فيشتري ثمر البستان لعدة سنوات، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك ؛ ففي حديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ : نهى عن بيع السنين. أخرجه مسلم برقم (١٥٣٦).

والمراد به أن يبيع ما سوف تثمره شجرة البائع سنتين أو ثلاثًا أو أكثر، وذلك لما فيه من الغرر، وهو أوْلى بالمنع من بيع الثمار قبل أن يبدو صلاحها.

فنسأل الله تعالى أن يهدي المسلمين عامة والتجار خاصة وأصحاب الثمار والزروع إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ؛ وذلك بتمسكهم بأحكام دينهم بالأخذ بما أحل الله تعالى والابتعاد عما نهى عنه الله ورسوله، ليسعدوا في الدنيا والآخرة.

٨- النجش في البيع

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نهى عن النَّجْش.

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في موضعين من صحيحه أولهما في كتاب البيوع باب النجش برقم (٢١٤٢)، والثاني في كتاب الحيل باب ما يكره من التناجش برقم (٦٩٦٣)، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في البيوع برقم (١٥١٦)، وأخرجه كذلك النسائي في البيوع برقمي (٤٥٠٢، ٤٥٠٩)، وابن ماجه برقم (٢١٧٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تناجشوا».

هذا الحديث أخرجه أبو داود في باب النهي عن النجش برقم (٣٤٣٨)، وأخرجه الترمذي في ما جاء في كراهية النجش برقم (١٣٠٤)، والنسائي في باب بيع المهاجر للأعرابي برقم (٤٤٩٦)، وفي باب بيع الحاضر للبادي برقم (٤٥٠١)، وباب النجش برقمي (٤٥١٠- ٤٥١١)، وابن ماجه في ما جاء في النهي عن النجش (٢١٧٤).

◘◘ شرح الحديثين ◘◘

قال الإمام الترمذي عقب روايته حديث أبي هريرة رضي الله عنه: وفي الباب عن ابن عمر وأنس، وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا النجش، وقال: والنجش أن يأتي الرجل الذي يبصر السلعة إلى صاحب السلعة فيستام بأكثر مما تسْوى، وذلك عندما يحضره المشتري، يريد أن يغتر المشتري به، وليس من رأيه الشّري، إنما يريد أن

ينخدع به المشتري بما يستام، وهذا ضرب من الخديعة.

وأما الإمام البخاري فتحت باب النجش قال: ومن قال: لا يجوز ذلك البيع، وقال ابن أبي أوفى: الناجش آكل ربا خائن، وهو خداع باطل لا يحل، قال النبي ﷺ : «الخديعة في النار، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». ثم ساق حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الحافظ في الفتح: قوله: «باب النَّجْش» هو في اللغة تنفير الصيد واستثارته من مكانه ليصاد، يقال: نَجَشْتُ الصيدَ أَنْجُشُه نَجْشًا، وفي الشرع الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها، سمي بذلك لأن الناجش يثير الرغبة في السلعة، فإن وقع ذلك بعلم البائع فهما مشتركان في الإثم، وإن وقع بغير علمه فالإثم خاص بالناجش، وقد يختص به البائع وذلك إذا أخبر أنه اشترى سلعة بأكثر مما اشتراها به ليغر غيره بذلك. اهـ بتصرف.

قوله: «ومن قال: لا يجوز ذلك البيع، قال الحافظ: كأنه يشير إلى ما أخرجه عبد الرزاق من طريق عمر بن عبد العزيز «أن عاملاً له باع سَبْيًا فقال له: لولا أني كنت أزيد فأُنَفِّقُهُ لكان كاسدًا، فقال له عمر: هذا نجش لا يحل، فبعث مناديًا ينادي: إن البيع مردود وإن البيع لا يحل. قال ابن بطال: أجمع العلماء على أن الناجش عاص بفعله، واختلفوا في البيع إذا وقع على ذلك، ونقل ابن المنذر عن طائفة من أهل الحديث فساد ذلك البيع، وهو قول أهل الظاهر، ورواية عن مالك، والمشهور عن الحنابلة إذا كان ذلك بمواطأة البائع أو صنعه، والمشهور عند المالكية في ذلك ثبوت الخيار، وهو وجه للشافعية قياسًا على المصراة، والأصح عند الشافعية صحة البيع مع الإثم، وهو قول الحنفية.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: النجش أن يَحْضُرَ الرجلَ السلعة تباع فيعطي بها الشيء وهو لا يريد شراءها ليقتدي به السُّوَّام فيُعْطُون بها أكثر مما كانوا يُعْطُون لو لم يسمعوا سومه، فمن نجش فهو عاص بالنجش إن كان عالمًا بالنهي، والبيع جائز لا يفسده معصية رجل نجش عليه. اهـ. من الفتح.

قوله: «وقال ابن أبي أوفى: الناجش آكل ربا خائن». قال الحافظ: هذا طرف من حديث أورده المصنف (أي البخاري) في الشهادات، في باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾، ثم ساق فيه من طريق السكسكي عن عبد الله بن أبي أوفى قال: أقام رجلٌ سلعته فحلف بالله لقد أعطى فيها ما لم يعط فنزلت. قال ابن أبي أوفى: الناجش آكل ربًا خائن.

قال الحافظ: وقد اتفق أكثر العلماء على تفسير النجش في الشرع بما تقدم. وقيد ابن عبد البر وابن العربي وابن حزم التحريم بأن تكون الزيادة المذكورة فوق ثمن المثل، قال ابن العربي: فلو أن رجلاً رأى سلعة رجل تباع بدون قيمتها فزاد فيها لتنتهي إلى قيمتها لم يكن ناجشًا عاصيًا، بل يؤجر على ذلك بنيته، وقد وافقه على ذلك بعض المتأخرين من الشافعية، وفيه نظر ؛ إذ لم تتعين النصيحة في أن يوهم أنه يريد الشراء وليس من غرضه، بل غرضه أن يزيد على من يريد أن يشتري أكثر مما يريد أن يشتري به، فللذي يريد النصيحة مندوحة عن ذلك أن يعلم البائع أن قيمة سلعته أكثر من ذلك، ثم هو باختياره بعد ذلك، ويحتمل ألا يتعين عليه إعلامه بذلك حتى يسأله لحديث: «دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض، فإذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه». والله أعلم.

قوله: «وهو خداع باطل لا يحل». قال الحافظ: هو من تفقه المصنف وليس من تتمة كلام ابن أبي أوفى.

قوله: (قال النبي ﷺ : الخديعة في النار، ومن عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» قال الحافظ: أما الحديث الثاني فسيأتي موصولاً من حديث عائشة في كتاب الصلح، وأما حديث: «الخديعة في النار» فرويناه في الكامل لابن عدي من حديث قيس بن سعد بن عبادة قال: لولا أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المكر والخديعة في النار» لكنت من أمكر الناس، وإسناده لا بأس به.

أقول: إن كثيرًا من المسلمين يعدون المكر والخديعة في البيع والشراء الآن من المهارة في التجارة، وأن التاجر الماهر هو الذي يستطيع أن يبيع سلعته بأكثر مما تستحق، وذلك بطرق شتى أكثرها المخادعة والمخاتلة والحلف الكاذب الماحق للبركة، فيا ليت التجار يتعلمون أحكام الشرع ويرضون بالحلال الطيب، ويبتعدون عن كل ما نهى عنه الشرع، ففي ذلك سعادة الدارين.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الهجرة.. وأصناف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

معنى الهجرة

الهجرة عند أهل اللغة: المفارقة والترك والبعد، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي﴾ [العنكبوت: ٢٦]. أي: تارك لقومي ومفارقهم.

شرعًا: الخروج من أرض إلى أرض، وترك الأولى للثانية.

(لسان العرب، مادة: هجر: ٥١/٤٦١٧، والنهاية لابن الأثير ٥/٢٢٤).

قال الحافظ ابن حجر: الهجرة الترك، والهجرة إلى الشيء: الانتقال إليه عن غيره.

وفي الشرع: ترك ما نهى الله عنه، وقد وقعت الهجرة في الإسلام على وجهين:

الأول: الانتقال من دار الخوف إلى دار الأمن، كما في هجرتي الحبشة، وابتداء الهجرة من مكة إلى المدينة.

الثاني: الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان.

وذلك بعد أن استقر النبي ﷺ بالمدينة، وهاجر إليه من أمكنه ذلك من المسلمين، وكانت الهجرة إذ ذاك تختص بالانتقال إلى المدينة إلى أن فُتحت مكة فانقطع الاختصاص، وبقي عموم الانتقال من دار الكفر لمن قدر عليه باقيًا. (الفتح: ١/٢٣).

أنواع الهجرة وأصناف الناس

الهجرة ضربان: ظاهرة وباطنة، أو «حسية ومعنوية».

أولاً: الهجرة الباطنة:

وهي ترك ما تدعو إليه النفس الأمارة بالسوء والشيطان، وهذه الهجرة في مقدور كل مسلم، وتجب عليه عند وجود ما يقتضيه حتى تحصل له السلامة من المنكرات والموبقات، وتحقق له الاستقامة في دينه ودنياه، روى البخاري وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه». وفي رواية لابن حبان والحاكم: «المؤمن من أمنه الناس».

فدل ذلك على أن المهاجر: هو الذي امتثل جميع أوامر الشرع ونواهيه في نفسه ومع غيره، فيهجر كل ما يضر بالمسلم أو يؤذيه، كما في مسند أحمد: «الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر». (صححه الشيخ أحمد شاكر).

ثانيًا: الهجرة ظاهرًا:

الهجرة من دار الكفر والحرب إلى دار الإسلام والأمان.

أرسل الله رسوله ﷺ وأمره أن يبلغ الدعوة للناس كافة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢].

فامتثل النبي ﷺ أمر ربه، فآمن من آمن، وكفر من كفر، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

وهذا التقسم العقدي ينبني عليه أحكام ونتائج في الدنيا والآخرة.

المسلمون: كلهم إخوة، وبلادهم واحدة، ولو صارت دولاً شتى.

غير المسلمين: على اختلاف طوائفهم وعقائدهم كلهم ملة واحدة، فالكفر كله ملة واحدة.

وقد رتب الفقهاء على هذا التقسيم أحكامًا شرعية، بسبب اختلاف الدارين، وقبل بيان الأحكام نشير إلى الضابط الذي يميز الدارين ويحدد كلاً منهما:

دار الإسلام

في تحديد دار الإسلام نجد آراء للعلماء منها: كل ما دخل من البلاد في محيط سلطان الإسلام، ونفذت فيه أحكامه، وأقيمت شعائره، قد صار من دار الإسلام.

راجع تفسير المنار (١٠/٣١٦).

وسكان دار الإسلام نوعان

مسلمون: وهم كل من آمن بالدين الإسلامي.

وذميون: وهم غير المسلمين، الذين يقيمون إقامة دائمة في دار الإسلام، بغض النظر عن معتقداتهم الدينية، وسكان دار الإسلام جميعًا مسلمين وذميين معصومو الدم والمال، لأن العصمة في الشريعة الإسلامية تكون بأحد شيئين: بالإيمان والأمان، أي: العهد.

(راجع بدائع الصنائع ٧/١٠٢).

دار الحرب

كل البلاد غير الإسلامية، التي لا تدخل تحت سلطان المسلمين، أو لا تظهر فيها أحكام الإسلام، أي: لا سلطان للمسلمين عليها، وتجري فيها الأحكام الشركية.

وليس معنى دار الحرب ودار الإسلام أنهما في حالة عداء وخصام مستمر، وإنما المقصود هو وجود الأمن والسلام، أو عدم وجوده.

ولإمام المسلمين أن يعقد مع أهل الحرب صلحًا، للمصلحة على ترك القتال بينهما مدة محددة من

الناس فيها

إعداد / سعيد عامر

الزمان، كما صالح النبي ﷺ أهل مكة قبل فتحها على وضع الحرب بينهما عشر سنين، وحينئذ تسمى دار عهد.

والمسلم الذي يعيش في دار الكفر له أحوال:

أ- قادر على الهجرة، ولا يمكنه إظهار دينه:

المسلم الذي لم يستطع إظهار دينه خوفًا على نفسه، وباستطاعته أن يهاجر إلى بلدة آمنة لإظهار دينه، فهذا تجب عليه الهجرة، ويكون عاصيًا بتركها. قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

هذا الوعيد الشديد لا يكون إلا في ارتكاب المحرم وترك الواجب: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح من حديث جرير بن عبد الله البجلي- الذي أسلم سنة عشر من الهجرة أو قبلها- أنه قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم، وعلى فراق المشرك.

وقال الله عز وجل: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

وهذا يدل على وجوب هجرة المسلم من بين المشركين ما دام لا يستطيع أن يظهر دينه، لأن في الإقامة خطرًا كبيرًا وشرًا مستطيرًا، من ذلك:

- تشكيك المسلم في عقيدته ودينه.
- العمل على انحراف المسلم وإضلاله.
- تشبعه بأفكار الغرب وتقليدهم.
- إفساد الأخلاق والوقوع في الرذيلة عن طريق تهيئة أسباب الفساد وجعلها في متناول اليد لكل شاب.

وهذه الهجرة حكمها باقٍ في حق كل مسلم في دار الكفر، وقدر على الخروج منها.

روى أبو داود والنسائي والدارمي والبيهقي وأحمد والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٦/٦): «لا تنقطع الهجرة، حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».

ب- لا يقدر على إظهار دينه وهو عاجز عن الهجرة لعذر، كالشيخ الطاعن في السن، والمريض مرضًا مزمنًا، والأسير، والمكره، أو ضعيف عن سلوك سبيل الهجرة كالنساء والأطفال، فهؤلاء ومن في حكمهم لا تجب عليهم الهجرة، وتجوز لهم الإقامة بين المشركين.

جـ- قادر على الهجرة ويمكنه إظهار دينه:

من كان يستطيع إظهار دينه في دار الحرب فهذا يستحب له أن يهاجر لتقوية شوكة المسلمين ولتكثير سوادهم، فضلاً عما يحصل عليه من الخير في بقائه مع المسلمين من شهود جنائزهم، وعيادة مريضهم وإفشاء السلام بينهم، ومواساة ضعيفهم وما يتبع ذلك من أوجه النفع.

(راجع: التسهيل لتأويل التنزيل سورة النساء ٢/٢٢٨، ٢٢٩).

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٠].

(راجع فتح الباري: ٦/١٩٠).

د- من كان يدعوا إلى الله في ديار الكفر، ويستطيع إظهار دينه، مع بقائه في ديار الكفر للدعوة إلى الله ونفع العباد ولقضاء مصالح المسلمين، فهذا يستحب له البقاء فيها.

ولا شك أن المسلمين إذا فتحوا بلاد الكفار، أو صالحوا أهلها على أن تنفذ فيهم أحكام الإسلام وتطبق عليهم شرائعه، فحينئذ لا يجوز لأي مسلم أن يهاجر من تلك البلاد لكونها صارت بالفتح أو الصلح دار إسلام، دليل ذلك الحديث المتفق عليه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا».

ثانيا: الهجرة هربًا

إذا خشي المسلم على نفسه أو أهله أو ماله في أرض ما، فقد أذن الله له في الخروج من تلك الأرض والفرار بنفسه وبما يخاف عليه ليتخلص من ذلك المحذور، وهذه رحمة من الله بخلقه ورفقًا منه سبحانه بعباده، كما هاجر إبراهيم الخليل عليه السلام حين خاف قومه، خرج من بينهم وقال: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، وكذلك موسى عليه السلام لما قَتَلَ مصريًا دون قصد وبلا آلة تفضي إلى القتل، وتآمر عليه الملأ من قوم فرعون ليقتلوه قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي

حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ٢١].

وهاجر لوط عليه السلام من القرية الظالم أهلها حين أراد الله عز وجل أن يجعل عاليها سالفها، وأرسل عليهم حجارة من سجيل: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ [هود: ٨١]. وهاجر يونس عليه السلام لما رأى إصرار قومه على الباطل وتماديهم في المنكر ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وهاجر يعقوب والأسباط إلى مصر يوم جعل الله يوسف عليه السلام على خزائن الأرض، يلتمسون وطنًا صالحًا فيه الخصب ولين العيش، وقال يوسف لهم: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩).

وهاجر صالح عليه السلام من ديار قومه حين تأذن الله ليرسل عليهم العذاب الأليم، وهاجر هود عليه السلام يوم أرسل الله على قومه الريح العقيم، وخرج النبي ﷺ من بيته لما عقد زعماء قريش وأشرافها اجتماعًا لوضع خطة حاسمة تكفل القضاء على محمد ﷺ وتحجب دعوته نهائيًا عن الوجود، وعندما بدأت قريش التنفيذ أمر الله نبيه بالهجرة.

ثالثا: الهجرة طلبا لدين أو دنيا

وهي أن يخرج المسلم مهاجرًا من مكان إلى مكان آخر لغرض دنيوي أو ديني.

أ- الهجرة لطلب دين:

هذا السفر أحيانًا يكون واجبًا، ومن ذلك:

الحج: إذا توفرت شروط الحج وانتفت موانعه، فيجب عند ذلك على المسلم المستطيع مفارقة وطنه والمبادرة بالسفر لأداء هذا الفرض، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

الجهاد: إذا اعتدى الكفار على ديار المسلمين أو احتلوا جزءًا ونحو ذلك، فعلى المسلم القادر الخروج للدفاع والمرابطة على الثغور وتكثير سواد المسلمين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ﴾ [التوبة: ٣٨، ٤١].

وأحيانًا يكون هذا السفر على سبيل الاستحباب، من ذلك:

- **الرحلة في طلب العلم:**
- قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً﴾ [التوبة: ١٢٢].

فالآية فيها الحث على طلب العلم دون الإلزام والوجوب. (راجع أحكام القرآن لابن العربي ٢/١٠٣١).

الرحلة للأماكن المقدسة

ففي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ، ومسجد الأقصى». وقد خصصت هذه المساجد لأن الصلاة فيها تضاعف أضعافًا كثيرة، ولأن الأنبياء صلوا فيها.

زيارة المسلم

روى مسلم وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «خرج رجل يزور أخًا له في قرية أخرى....».

ب- الهجرة لطلب دنيا:

أحيانًا يتعذر على الرجل معاشه في أرض، فيخرج منها إلى غيرها لتحصيل ما يحتاج إليه، وهذا من السعي في الأرض والمشي في مناكبها، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، وروى أحمد والترمذي وصححه الشيخ أحمد شاكر: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصًا وتروح بطانًا». راجع ابن كثير في تفسيره.

جـ- السفر للتنزه وترويح النفس:

هذا السفر مباح إذا لم يهمل الفرائض والعبادات، ولم يضيع الحقوق والواجبات، وابتعد عن المحرمات والموبقات، وسلِمَ من الأوزار والتبعات، بل ربما يكون سفر المسلم ذاك مستحبًا ومسنونًا إذا أراد به الاعتبار والاتعاظ بعجائب الله في خلقه، وسننه في عباده، والانتفاع بما في الأرض من آثار.

ويجب على المسلم أن يخلص النية ويحسن العمل في حركاته وسكناته وحله وترحله، وصحته ومرضه وكل أحواله، ويتحرى رضا الله وموافقة شرعه، حتى يفوز بالأجر العظيم والثواب الجزيل، ففي الحديث المتفق عليه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى». وفي رواية: «إنما الأعمال بالنية وإنما لأمرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه». فالنية بما يصحبها من إخلاص أو رياء، أصل لقبول العمل أو رده.

نسأل الله أن يرزقنا صدق النية، وحسن العمل، والتوكل عليه والإنابة إليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

درر البحار
(٤٩)

مشروع تيسير حفظ السنة
من صحيح الأحاديث القصار

إعداد
علي حشيش

١٣٩٤- عن أبي الزُّبير رضي الله عنه قال: سمعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللهِ رضي الله عنهما سُئلَ عن رُكُوبِ الهَدْيِ؟ فقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ: «ارْكَبْهَا بالمَعروفِ إذا أُلجِئْتَ إليها حتَّى تَجِدَ ظَهْرًا».

م(١٣٢٤)، حم (١٤٤٢٠، ١٤٤٨٠)، د(١٧٦١)، ن(٢٨٠١)، حب(٤٠١٥، ٤٠١٧)، هق (٥/٢٣٦).

١٣٩٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان الناس يَنْصَرِفُونَ في كلِّ وَجْهٍ فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يَنْفِرَنَّ أحدٌ حتى يكونَ آخرُ عهدِهِ بالبَيْتِ».

م(١٣٢٧)، حم(١٩٣٦)، د(٢٠٠٢)، ن(٤١٨٤- الكبرى)، جه (٣٠٧)، دي (١٩٢٢)، طب (١٠٩٨٦)، حب (٣٨٩٧)، هق (٥/١٦١).

١٣٩٦- عن عائشة رضي الله عنها قالت: حَاضَتْ صفيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ بعدما أفَاضَتْ، قالت عائشةُ، فَذَكَرْتُ حَيْضَتَهَا لرسولِ اللهِ ﷺ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «أحابِسَتُنَا هِيَ». قالت: فقُلْتُ: يا رسولَ اللهِ: إنَّها قد كانت أفَاضَتْ وطَافت بالبيتِ، ثُمَّ حَاضَتْ بعدَ الإفاضَةِ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «فَلْتَنْفِرْ».

م(١٢١١)، كتاب الحج ح(٣٨٢)، حم (٢٤١٥٦، ٢٤١٦٨)، دي (١٩١٧، ١٩١٨)، حب (٣٩٠٠، ٣٩٠٢)، ت (٩٤٣)، ن(٣٨٩)، جه (٣٠٧٢، ٣٠٧٣)، هق (٥/١٦٢).

١٣٩٧- عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ الكَعْبَةَ وفيها سِتُّ سَوَارٍ فَقَامَ عِنْدَ سَارِيَةٍ فَدَعَا ولم يُصَلِّ. م(١٣٣١)، حب (٣٢٠٧).

١٣٩٨- عن إسماعيلَ بنِ أبي خَالدٍ رضي الله عنه قالَ: قُلْتُ لعبدِ اللهِ بنِ أبي أَوْفَى صَاحِبِ رسُولِ اللهِ ﷺ: أدَخَلَ النبيُّ ﷺ البَيْتَ في عُمْرَتِهِ؟ قَالَ: لا. م(١٣٣٢).

١٣٩٩- عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بالرَّوْحَاءِ فقال: «مَنِ القَوْمُ؟» قَالُوا: المُسلمونَ. فقالُوا مَن أنتَ؟ قال: «رسولُ اللهِ». فرَفَعَتْ إليه امرأةٌ صَبيًا فقالت: ألهذا حجٌّ؟ قال: «نَعَم ولَكِ أجرٌ». م(١٣٣٦)، ط (٩٦١)، حم (١٨٩٨، ١٨٩٩، ٢١٨٧، ٢٦١٠، ٣١٩٥، ٣٢٠٢)، د(١٧٣٦)، ن(٢٦٤٤، ٢٦٤٥، ٢٦٤٦).

١٤٠٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: خَطَبَنا رسُولُ اللهِ ﷺ فقال: «أيُّهَا النَّاس، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيكم الحَجَّ فَحُجُّوا». فقال رجلٌ: أَكُلَّ عامٍ يا رسولَ اللهِ، فسكَتَ. حتى قَالَها ثلاثًا. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَم لَوَجَبت، ولَمَا استَطعتُم». ثُمَّ قال: «ذَرُوني ما تَرَكْتُكُمْ، فإنَّما هلَكَ مَنْ كان قَبْلَكُمْ بكثرةِ سُؤَالِهِمْ واخْتِلافِهم على أنبيائِهِمْ، فإذا أَمَرْتُكُمْ بشيءٍ فَأْتُوا مِنهُ ما استَطَعْتُمْ، وإذا نَهَيْتُكُمْ عن شيءٍ فَدَعُوهُ».

م(١٣٣٧)، ن(٢٦١٨)، حم (١٠٦١٢)، حب (٣٧٠٤).

١٤٠١- عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لَا يحلُّ لامرأةٍ تُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ، أَنْ تُسافِرَ سَفرًا يكُونُ ثلاثةَ أيَّامٍ فصَاعِدًا، إلاَّ ومَعَها أبوهَا أو ابْنُهَا أو زَوْجُها أو أَخُوهَا أَوْ ذُو مَحْرَمٍ مِنها». م(١٣٤٠)، د(١٧٢٦)، ت(١١٦٩)، جه(٢٨٩٨)، دي (٢٦٧٨).

١٤٠٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: مَا مِنْ يَوْمٍ أكثرُ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فيه عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وإنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بهم الملائكة فيقولُ: ما أَرَادَ هَؤُلاءِ؟».

م(١٣٤٨)، ن(٣٠٠٣)، جه(٣٠١٤).

١٤٠٣- عن جابر رضي الله عنه قالَ سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقولُ: «لاَ يَحلُّ لأحدكُمْ أن يَحْملَ بمَكَّةَ السِّلاحَ».

م(١٣٥٦)، حم(١٤٧٤٣)، حب (٣٧١٤)، هق (٥/١٥٥).

١٤٠٤-عن جابرِ بنِ عَبيد اللهِ الأنصاري رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ دَخلَ يَوْمَ فَتْح مكَّةَ وَعَليه عِمامَةٌ سَوْدَاءُ بِغَيْرِ إحْرام».

م(١٣٥٨)، حم (١٤٩١٠، ١٥١٥٩)، د(٤٠٧٦)، ت(١٦٧٩، ١٧٣٥)، ن(٢٨٦٩، ٥٣٥٩، ٥٣٦٠)، جه (٢٨٢٢)، دي (١٩٣٩)، هق (٥/١٧).

١٤٠٥- عن عَمْرو بنِ حُرَيْث رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَعليه عِمَامَةٌ سَوْداءُ».

م(١٣٥٩)، حم(١٨٧٥٩)، د (٤٠٧٧)، د(٥٣٥٨، ٥٣٦١)، جه (١١٠٤)، (٢٨٢١، ٣٥٨٤، ٣٥٨٧).

١٤٠٦- عن رافع بنِ خَديجٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «إنَّ إبْراهيم حَرَّمَ مكةَ وإني أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لابَتَيْهَا». (يُريد المدينةَ). م(١٣٦١)، حم(١٧٢٧٢، ١٧٢٧٤).

١٤٠٧- عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ إبراهيمَ حرَّمَ مَكَّةَ وإنِّي حَرَّمْتُ المدينةَ مَا بينَ لابَتَيْها لا يُقْطَعُ عِضاهُها(١) ولا يُصَادُ صيْدُها». م(١٣٦٢).

١٤٠٨- عَنْ أبي هُريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ، قال: «المدينةُ حَرَمٌ فَمَنْ أحدَثَ فيها حَدثًا أو آوى مُحْدِثًا فَعليه لعنةُ اللهِ والملائكةِ والنَّاسِ أجمعينَ، لا يُقْبَلُ مِنْهُ يوم القيامَةِ عَدْلٌ ولاَ صَرْفٌ».

م(١٣٧١)، حم(١٠٨٠٧)، د(٥١١٤).

١٤٠٩- عن ابن عُمر رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ صبَرَ على لأْوائِها، كُنْتُ له شَفِيعًا، أو شَهيدًا يَوْمَ القيامَةِ». م(١٣٧٧)، ط(١٦٣٨)، حم (٥٩٣٥)، (٦٠٠١)، (٦١٧٤، ٦٤٤٠)، ت(٣٩١٨).

١٤١٠- عن أبي هُريرةَ رضي الله عنه أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا يَصْبِرُ على لأواءِ المدينةِ وشِدَّتِها أحدٌ مِنْ أُمتي، إلاَّ كُنْتُ له شفيعًا يومَ القيامةِ أو شهيدًا». م(١٣٧٨)، حم (٧٨٧٠، ٨٥٢٤، ٩١٧٢)، ت(٣٩٢٤)، حب (٣٧٣٩، ٣٧٤٠).

١٤١١- عن أبي هُريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «يأتي المَسيحُ مِنْ قِبلِ المَشْرق، هِمَّتُهُ المَدِينَةُ، حتَّى ينْزِلَ دُبُرَ أحد ثُمَّ تَصْرِفُ الملائكةُ وَجْهَهُ قِبلَ الشَّام، وَهُنَالِكَ يَهْلِكُ». م(١٣٨٠)، حم (٩١٧٧)، حب (٦٨١٠).

١٤١٢- عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ اللهَ تعالَى سَمَّى المَدينة طَابَةَ». م(١٣٨٥)، حم (٢٠٩٥٣، ٢٠٩٧٠، ٢١٠٢٣، ٢١٠٧٨)، حب (٣٧٢٦)، وطب في الكبير (١٨٩٢).

١٤١٣- عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال أبو القَاسِمِ ﷺ: «مَنْ أَرَادَ أهلَ هَذه البَلْدَةِ بسُوءٍ (يعني المدينةَ) أَذابَهُ اللهُ كَمَا يَذُوبُ المِلْحُ في المَاءِ». م(١٣٨٦)، حم (٨٦٩٥، ٧٧٥٩، ٨٠٩٥)، ن في الكبرى (٢/٤٢٦٨)، جه (٣١١٤).

١٤١٤- عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَن النبيِّ ﷺ قال: «صَلاةٌ في مَسْجِدِي هذا، أفضلُ مِنْ ألفِ صلاةٍ فِيما سِواهُ إلاَّ المَسجدَ الحَرام».

حم (١٣٩٥)، وحم (٤٦٤٦، ٥١٥٣، ٥١٥٥، ٥٣٥٨، ٥٧٧٨)، ن (٣٨٩٧، ٢٨٩٨)، ون في الكبرى (٢/٣٨٨٠)، وجه (١٤٠٥).

١٤١٥- عن مَيمُونَةَ رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «صلاةٌ فيه أفضلُ مِن ألفِ صلاةٍ فيمَا سِواهُ مِنَ ا لمَسَاجِدِ إلاَّ مَسْجِدَ الكعبةِ».

م(١٣٩٦)، حم (٢٦٨٩٠، ٢٦٨٩٩، ٢٦٩٠٠، ٢٦٩٠١)، ن(٦٩٠)، (٢٨٩٨)، ن في الكبرى (١/٧٧٠ ، ٢ / ٣٨٨١).

١٤١٦- عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه: قُلْتُ: يا رسولَ اللهِ، أيُّ المَسْجدَيْنِ الَّذِي أُسِّسَ على التقْوَى؟ قال: فأخذَ كفًا مِنْ حَصْبَاءَ فَضَرَبَ بِهِ الأرضَ، ثُمَّ قال: «هُوَ مَسْجِدُكُمْ هذَا» (لِمسجدِ المدينةِ). م(١٣٩٨).

هامش

١- عِضَاهُهَا: كل شجر فيه شوك واحدتها عِضَاهَةٌ.

وصايا للمسلمين في المحن

إعـداد/
صلاح البدير
إمام وخطيب المسجد النبوي

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضـوانه، صلى الله عليـه وعلى آله وصحبه وإخوانه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فيا أيها المسلمون، إن نعم الله على عباده كثيرة، ومننه عليهم كبيرة غزيرة، وإن من نعمه الكبار، ومننه الغزار أن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وهدانا لمعالم هذا الدين الذي ليس به التباس، دينٌ كامل، وشرعٌ شامل، وقولٌ فصل، وقضاءٌ عدل، من تمسك به حصل على المناقب الفاخرة، وحصلت له السعادة في الدنيا والآخرة، ومن حاد عنه وتنكَّب الطريق، حصل له الشقاء والاضطراب والضيق، دينُ القيمة، آدابه سامية، وتعاليمه عالية غالية، نعيمٌ مغدق فياض، وفضائلُ ومكارمُ ورياض، حكمه بالغة، وحججه دامغة، دعا إلى كل خير ورشاد، ونهى عن كل شر وفساد، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

ليس على وجه الأرض دينٌ حق يُتعبَّد الله به سوى دين الإسلام، الذي هو خاتمٌ وناسخٌ لما قبله من الملل والشرائع والأديان، وكل من لم يدخل دين الإسلام فهو كافر عدوٌّ لله ولرسوله وللمؤمنين، وهو من أهل النار، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار» أخرجه مسلم.

أيها المسلمون، مهما حاول أعداء الإسلام ومهما سعوا في إنزال أنواع الفشل وألوان الشلل بالإسلام والمسلمين، فلن يستطيعوا أن يطفئوا نور الله، يقول جل في علاه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف:٨]، وعن تميم الداري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعزِّ عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر» أخرجه أحمد، وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكُها ما زُوِي لي منها» أخرجه مسلم، ويقول - بأبي هو وأمي - صلوات الله وسلامه عليه: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس» اخرجه مسلم.

أمة الإسلام، ما أحوج المسلمين اليوم في زمن عظمت فيه المصيبة، وحلَّت به الرزايا العصيبة، وتخطَّفت عالَم الإسلام أيدي حاسديه، ونهشته أيدي أعاديه، فالكرامة مسلوبة، والحقوق منهوبة، والأراضي مغصوبة، ما أحوج المسلمين في زمن الحوادث والكوارث إلى أن يراجعوا دينهم، وينظروا في مواقع الخلل، ومواطن الزلل، ويصلحوا ما فسد، ويكونوا وَحدةً كالجسد، ليغسلوا عنهم أوضار الذل والهوان، ويزيلوا غُصص القهر والخذلان، ويتخلَّصوا من التبعية المقيتة، والمجاراة المميتة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً، لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» أخرجه أبو داود.

أيها المسلمون، وما أحوج الأمة في زمن مُيِّعت فيه الحقائق الشرعية، وضُيِّعت فيه الثوابت المرعية، في مسارات فكرية مسمومة، ومصطلحات شيطانية مذمومة، واجتهادات عقيمة، وآراء سقيمة، لا تتفق مع الدين الحنيف، ولا مع العقل الحصيف، ما أحوجها في هذا الوقت إلى أن تراجع نصوص الكتاب والسنة، وما أجمع عليه سلف الأمة، في قضاياها المعاصرة، ومشكلاتها المحاصرة، لتفهم جذور المشكلات، وأسباب الويلات والنكبات، وتقرأ

المتغيرات، وتوجد التحليلات والتعليلات، وتتوقع المستجدات، وترجع إلى أهل العلم الثقات، وتنهض بالمسؤوليات والواجبات، بصدق لا يشوبه كذب، وإخلاص لا يخالطه رياء، وتجرّد لا يتخلله هوى، وتوحيد لله لا يكدّره شرك ولا شكّ، وثقة به جل في علاه لا تهزها أراجيف المرجفين، ولا تخذيل المخذّلين، حتى لا تواقع الأمة الأمر المحظور، أو تقترف الخطأ المحذور، يقول جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:٨٣].

أيها المسلمون، إن الواجب على أهل الإسلام كلما اشتدت بهم البلايا والرزايا أن يقوى تضافرهم، ويشتدّ تناصرهم، لنصرة دينهم وحماية بلادهم، وأن يكونوا صفًا واحدًا متعاضدين متساعدين متساندين، متعاونين على البر والتقوى، متناهين عن الإثم والعدوان، نابذين العداء والبغضاء، حتى يفوّتوا على العدو فرصته وبُغيته في زرع بذور التمزُّق وجذور التفرق، ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال:٤٦]. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

أيها المسلمون، إن رابطة العقيدة والدين رابطة عظمى، وأسرة كبرى، لها مقتضياتها وواجباتها، وتكاليفها وحقوقها الثابتة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، رابطةٌ تنكسر تحتها شوكة أهل الكفر والعدوان، وتنزاح أمامها قوى الظلم والطغيان، يقول تبارك وتعالى في كتابه العزيز وكلامه البليغ الوجيز: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١]. ويقول جل في علاه: ﴿وَالَّذينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣].

ويقول ﷺ: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم» أخرجه أبو داود، ويقول ﷺ: «المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن، يكفّ عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه» أخرجه أبو داود.

أيها المسلمون، إن المجتمعات الإسلامية على اختلاف أجناسها وألوانها وبلدانها بنيانٌ واحد وجسدٌ واحد، يسعدُ بسعادة بعضه، ويتألّم لألمه ومرضه، يجمعهم دين واحد هو دين الإسلام، وكتاب واحد هو القرآن، ونبي واحد هو سيدنا سيد الأنام نبينا محمد ﷺ، يقول - بأبي هو وأمي - صلوات الله وسلامه عليه: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تُخفروا الله في ذمته» أخرجه البخاري، ويقول ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»، ويقول ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» أخرجه مسلم، وفي لفظ له: «المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كلّه، وإن اشتكى رأسه اشتكى كلّه».

أيها المسلمون، إن المسلم له حرمةٌ عظيمة، ومكانةٌ كريمة، وفي النوازل المدلهمّة والمحن الملمّة يتوجب التذكير بها، والتحذير من انتهاكها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ المنبر، فنادى بصوت رفيع فقال: «يا معشر من أسلم بلسانه، ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» أخرجه الترمذي، ويقول النبي ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يروّع مسلمًا» أخرجه أبو داود، وقال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر» متفق عليه، وقال ﷺ: «أيما رجل مسلم أكفر رجلاً مسلما، فإن كان كافرًا وإلا كان هو الكافر» أخرجه أبو داود.

أيها المسلمون، أصيخوا سمعكم، وأصغوا قلوبكم لقول الصادق المصدوق ﷺ: «لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم» أخرجه الترمذي.

فاتقوا الله عباد الله، وأطيعوا الرسول فيما أمر، واجتنبوا ما نهى عنه وزجر، يتحقق لكم العيش الرغيد، والمردّ السعيد.

أيها المسلمون، يلاقي المسلمون في هذه الأعصار في عدد من الأمصار أعتى المآسي وأدمى المجازر، فظائع دامية، وجرائم عاتية، ونوازل عاثرة، وجراحًا غائرة، غصصا تثير كوامن الأشجان، وتبعث على الأسى والأحزان:

في كل أفق على الإسلام دائرةٌ
ينهدُّ من هولها رضوى وسهلانُ

ذبحٌ وسلبٌ وتقتيلٌ بإخوتنا
كما أُعدّت لتشفّي الحقد نيرانُ
يستصرخون ذوي الإيمان عاطفة
فلم يُغثهم بيوم الروع أعوانُ
فاليوم لا شاعرٌ يبكي ولا صحف
تحكي ولا مرسلات لها شانُ
هل هذه غيرة أم هذه ضعة
للكفر ذكر وللإسلام نسيانُ

هولٌ عاتٍ، وحقائق مرة، تسمو على التصوير والتبيين، في كل ناحية صوت منتحب، وفي كل شبر باغ ومأفون ومغتصب.

أيها المسلمون، هذه الصهيونية العالمية، الأمة الخوانة، التي ليس لها عهد ولا أمانة، تمارس في فلسطين أبشعَ صور الظلم والقهر والتخويف والإرهاب، تفرض ألوان الحصار، وتقتل الرجال والنساء والصغار، وتهدف إلى إبادة المسلمين، وتصفيتهم جسديًا، وإرعابهم نفسيًا، بمذابح جماعية لم يشهد التاريخ لها مثيلاً.

إن إسرائيل تمارس أمام نظر العالم وسمعه الإرهاب بمختلف أشكاله وألوانه، وبجميع أنواعه وأدواته، تمارسه عقيدة وسياسة، ضاربة بالمعاهدات والمحادثات والاتفاقات الدولية عرض الحائط، فأين من يوقف وحشية هذا الإرهاب وبشاعته، ويطارد رجاله وقادته، ويستأصل شأفتهم، ويقتلع كافتهم؟! أين ميزان العدل والإنصاف يا من تدعونه؟! أين شعارات التقدم والتحرر والحضارة والسلام، التي لا نراها إلا حين تصبّ في مصلحة يهود ومن وراء يهود؟!! ولكن صدق القائل:

المستجير بعمرو عند كربته
كالمستجير من الرمضاء بالنار

أيها المسلمون، كيف يهنأ المسلم بعيش، أو يرقأ له دمع، أو يدرك فرحا بأمنية في دار كلها قذى وأذى، المسلمون فيها ما بين قتيل مرمّل، وجريح مجدّل، وأسير مكبّل.

أيها المسلمون، إن تنتصر هذه الأمة على نفسها وأهوائها، وتطبق شريعة الله في جميع مناحي حياتها، ويستقم أفرادها على دين خالقها تنتصر على عدوها، وتعلُ كلمتها، وتُحرَسْ نعمتها، ويدُمْ عزُّها، وتشتدّ قدرتها، وتزددْ قوتها، وتنفض الوهن عن عاتقها، ذلك الوهن الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ بقوله: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، قالوا: يا رسول الله، أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: «أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن»، قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حبّ الحياة، وكراهية الموت» أخرجه أحمد وغيره.

أيها المسلمون، إن لم تقمْ الأمة بذلك فهي على خطر أن ينالها وعيد الله في قوله جل في علاه: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُواْ أَمْثَالَكُم ﴾ [محمد:٣٨]، وقوله تبارك وتعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِى اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة:٥٤].

أيها المسلمون، إن وحدة الشعور بين المسلمين واجبٌ معظَّم، وفرضٌ محتَّم، شعورٌ يحمل على العون والعطف والإشفاق، والإحسان والبذل والإنفاق، يقول ﷺ: «من أصبح ولم يهتمَّ بأمر المسلمين فليس منهم» أخرجه الحاكم.

أيها المسلمون، أحبُّ الأعمال إلى الله عز وجل سرورٌ تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تطرد عنه جوعًا، أو تقضي له دينًا، و«من نفّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»، و«من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»، يقول رسول الهدى ﷺ: «عودوا المريض، وأطعموا الجائع، وفكّوا العاني» أخرجه البخاري.

أيها المسلمون، «لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تشاتموا، وكونوا عباد الله إخوانا»، و«المستبّان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان»، «فما قالا فهو على البادئ حتى يعتدي المظلوم».

أيها المسلمون، بالعزمات الصِّحاح يشرق صباح الفلاح، وما حصلت الأماني بالتواني، ولا ظفر بالأمل من استوطن الكسل، والدنيا مناخ ارتحال، وتأميل الإقامة فيها فرض محال، ﴿ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان:٣٣].

واعلموا أن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته المسبحة بقدسه، وثلّث بكم - أيها المؤمنون - من جنّه وإنسه، فقال قولاً كريمًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِىِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد

خاتم الأنبياء والمرسلين رحمة من رب العالمين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي البشير، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعد:

فلقد تحدثت في اللقاء السابق عن بعض وظائف النبي ﷺ، وفي هذا اللقاء أودُّ أن أُذَكِّرَ الأمة بما يجب نحوه ﷺ، فأقول وبالله التوفيق:

إن هناك أمورًا كثيرة واجبة على هذه الأمة تجاه هذا النبي المختار ﷺ منها:

١- وجوب نصرته وتعزيره ﷺ: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٨) لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾

[الفتح: ٨، ٩].

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن التعزير والتوقير في الآية للنبي ﷺ، والتسبيح لله تبارك وتعالى(١).

ومعنى التعزير والتوقير: الاحترام والإجلال والإعظام.

قال المبرد: ﴿تعزروه﴾: تبالغوا في تعظيمه، وقال الأخفش: تنصرونه، وقال الطبري: تعينونه(٢).

وذكر ابن تيمية أن التعزير: اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن الوقار(٣).

وقد أوجب الله تعالى تعزيره وتوقيره، وألزم إكرامه وتعظيمه، ووعد على ذلك الفلاح في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقد دلت الآية على وجوب تعظيم الرسول ﷺ ونصره بالجهاد، ونصرته بنصرة دينه، وهذا لا يختص بعصره، بل هو أمر لازم في كل الأزمان والعصور إلى انقضاء التكليف، وقد تشتد الحاجة إلى ذلك في بعض الأوقات، خاصة حينما ينبري الظالمون بالطعن والازراء بالنبي ﷺ، ومن النصرة العظيمة للنبي الأمين ﷺ الجهاد بالبيان، وإيراد الحجة، ووضع الكتب في ذلك، وحلُّ شبه المخالفين .

وقد دافع الصحابة الأجلاء- رضوان الله عليهم- بكل ما يمكلون في سبيل نصرة النبي ﷺ، بل قدموا أنفسهم رخيصة في سبيل ذلك.

قال ابن القيم- رحمه الله- أثناء حديثه عن غزوة أحد: «وقتل مصعب بن عمير بين يديه، فدفع اللواء إلى علي بن أبي طالب، ونشبت حَلَقتان من حلق المغفر(٤) في وجهه، فانتزعهما أبو عبيدة بن الجراح، وعضَّ عليهما حتى سقطت ثنيتاه من شدة غوصهما في وجهه، وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته، وأدركه المشركون يريدون ما الله حائل بينهم وبينه، فحال دونه نفر من المسلمين نحو عشرة حتى قتلوا، ثم جالدهم طلحة حتى أجهدهم عنه، وترّس أبو دجانة عليه بظهره، والنبل يقع فيه، وهو لا يتحرك، ومر أنس بن النضر بقوم من المسلمين قد ألقوا ما بأيديهم، فقال: ما تنتظرون ؟ فقالوا: قتل رسول الله ﷺ، فقال: ما تصنعون في الحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه... وجاء علي إلى رسول الله ﷺ بماء ليشرب منه، فوجده آجنًا(٥)، فرده، وغسل من وجهه الدم، وصبَّ على رأسه، فأراد رسول الله ﷺ أن يعلو صخرة هنالك، فلم يستطع لما به، فجلس طلحة تحته حتى صعدها. وحانت الصلاة فصلى بهم جالسًا،

واجب الأمة نحو نبيها (ﷺ)

إعداد/
د. عبدالله شاكر الجنيدي
نائب الرئيس العام

وصار رسول الله ﷺ في ذلك اليوم تحت لواء الأنصار(٦).

فتأمل أخي المسلم هذه النماذج الرائعة في نصرة النبي ﷺ، ولقد سار التابعون الأخيار على هذا المنوال وتمنوا صحبة النبي ﷺ ونصرته والدفاع عنه وعن دينه، ولعل الخبر الذي ساقه ابن إسحاق يوضح ذلك، قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله أرأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه ؟ قال: نعم يابن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون ؟ قال: والله لقد كنا نجهد(٧) في اتباعه(٨)، قال: فقال: والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ولحملناه على أعناقنا...»(٩).

كما روى مسلم من حديث إبراهيم التيمي عن أبيه قال: كنا عند حذيفة، فقال رجل: لو أدركت رسول الله ﷺ قاتلت معه وأبليت...»(١٠)، والسؤال الذي يطرح نفسه الآن: ماذا قدمنا في العصر الحاضر لنصرة نبينا ﷺ والدفاع عنه، وقد تطاول عليه إخوان القردة والخنازير وعباد الصليب؟ إنه يجب على كل مسلم أن يراجع نفسه قبل أن يسأل بين يدي ربه عن تفريطه وتقصيره، وليكن لنا في سلفنا أسوة في توقير النبي ﷺ وتعظيمه والدفاع عنه، وقد مدح الله من يفعل ذلك، وأخبر أنهم هم الصادقون فقال: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨].

ومما يجب أن يعلمه القاصي والداني أن الله عز وجل تولى نصرة نبيه ﷺ على أعدائه، وقد قال في كتابه: ﴿ إِلاَّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ﴾ [التوبة]، كما عصمه من أن ينال منه أعداؤه فقال: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] أي: أن الله حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك، فلا تخف ولا تحزن، فلن يستطيع أحد منهم أن يصل إليك بسوء، وقد كان النبي ﷺ يحرس قبل نزول هذه الآية، ففي البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَهِرَ رسول الله ﷺ مَقْدَمَهُ المدينة ليلة، فقال: «ليت رجلاً صالحًا من أصحابي يحرسني الليلة». قالت: فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة سلاح فقال: «من هذا ؟» قال: سعد بن أبي وقاص، فقال له رسول الله ﷺ: «ما جاء بك؟» قال: وقع في نفسي خوف على رسول الله ﷺ، فجئت أحرسه، فدعا له رسول الله ﷺ، ثم نام»(١١).

وبعد نزول هذه الآية أمر النبي ﷺ حارسيه أن ينصرفوا كما روى الترمذي وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يحرس حتى نزلت هذه الآية: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾، فأخرج رسول الله ﷺ رأسه من القبة، فقال لهم: «يأيها الناس انصرفوا، فقد عصمني ربي»(١٢).

قال ابن كثير: «ومن عصمة الله لرسوله ﷺ حفظهُ له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها، مع شدة العداوة والبغْضة ونصب المحاربة له ليلاً ونهارًا، بما يخلقه الله من الأسباب العظيمة بقَدَره وحكمته العظيمة، فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب، إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيرًا في قريش، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه، فلما مات أبو طالب نال منه المشركون أذى يسيرًا، ثم

قيض الله له الأنصار فبايعوه على الإسلام، وعلى أن يتحول إلى دارهم- وهي المدينة- فلما صار إليها حَمَوْه من الأحمر والأسود، فكلما همَّ أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه، كما كاده اليهود بالسحر حماه الله منهم، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء، ولما سمَّ اليهود ذراع تلك الشاة بخيبر، أعلمه الله به، وحماه منه، ولهذا أشباه كثيرة جداً يطول ذكرها»(١٣).

وقبل أن أنتقل من هذه النقطة إلى غيرها أقول لعموم أهل الإيمان: لا ينبغي لكم التقاعس والتخاذل عن نصرة رسول الله ﷺ، وأذكركم بتقريع الله وتوبيخه الشديد لمن تخلف عن نصرة رسول الله ﷺ كما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة: ١٢٠]، أي: ما صح ذلك وما استقام.

٢- وجوب النصح لرسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩١]، ومعنى: «إذا نصحوا لله ورسوله» أي: أخلصوا الإيمان والعمل الصالح، فلم يرجفوا، ولم يثيروا الفتن، وأوصلوا الخيرات للمجاهدين وقاموا بمصالح بيوتهم(١٤).

وعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: «الدين النصيحة». قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١٥).

وهذا حديث عظيم الشأن عميم النفع، قال أبو سليمان الخطابي- رحمه الله-: «النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له، قال: ويقال: هو من وجيز الأسماء ومختصر الكلام، وليس في كلام العرب كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه».

وقال النووي- رحمه الله- في المراد بالنصيحة للنبي ﷺ: «وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فتصديقه على الرسالة، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حياً وميتاً، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقه وتوقيره، وإحياء طريقته وسنته، وبث دعوته ونشر شريعته، ونفي التهمة عنها، واستثارة علومها، والتفقه في معانيها، والدعاء إليها، والتلطف في تعلمها وإعظامها وإجلالها، والتأدب عند قراءتها، والإمساك عن الكلام فيها بغير علم، وإجلال أهلها لانتسابهم إليها، والتخلق بأخلاقه، والتأدب بآدابه، ومحبة أهل بيته وأصحابه، ومجانبة من ابتدع في سنته، أو تعرض لأحد من أصحابه ونحو ذلك»(١٦).

نسأل الله عز وجل أن يجعلنا من هؤلاء، والله وحده ولي التوفيق والسداد، وللحديث صلة- بإذن الله-.

الهوامش:

١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ٥/٤٧.

٢- الشفا للقاضي عياض ٢/٣٥.

٣- الصارم المسلول ص١٤٢.

٤- المغفر: حلق يتقنع به المتسلح تُسبغُ على العنق. لسان العرب ٥/٢٦.

٥- الآجن: هو الماء المتغير الطعم واللون. لسان العرب ١/٨.

٦- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية ٣/١٩٧- ١٩٩.

٧- هذا الاستفهام لا يراد منه حقيقته، فإن السائل لا يجهل ذلك، وإنما المراد التعجب منه واستعظامه.

٨- أي نبذل غاية جهدنا في طاعته وامتثال أمره.

٩- سيرة ابن هشام ٢/٢٧٩.

١٠- يعني: بالغت في نصرته، كأنه أراد الزيادة على نصرة الصحابة، والحديث في مسلم كتاب الجهاد باب ٣٦ جـ٣/ ١٤١٤.

١١- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب ٧٠ جـ٦/٨١، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة باب ٥ جـ٤/١٨٧٥، واللفظ له.

١٢- رواه الترمذي في كتاب التفسير وقال الألباني: حسن. انظر صحيح سنن الترمذي ٣/٤٦، كما أخرجه ابن جرير في تفسيره ٦/١٩٩، والحاكم في المستدرك ٢/٣١٣.

١٣- تفسير ابن كثير ٢/١٤٥.

١٤- تفسير القاسمي ٨/٣٢٣١.

١٥- صحيح مسلم كتاب الإيمان باب ٢٣ جـ١/٧٤.

١٦- شرح النووي على مسلم ٢/٣٨.

منهج السلف

في تفويض الصفات

الحلقة الأخيرة

خلاصة منهج السلف وطريقتهم في تفويض الصفات

إعداد /
محمد عبد العليم الدسوقي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

نواصل - بعون الله تعالى - الحديث حول صور الإلحاد التي بنى أصحابها عليها مذاهبهم في نفي الصفات وتعطيلها وتكلف البحث عن كنهها وكيفية قيامها به سبحانه.

٥- معتنقي ومنتهجي طريقة أبي الحسن الأشعري القديمة في زماننا، تلك الطريقة التي فهمها متأخرو الأشاعرة من نحو الرازي والشهرستاني والبيجوري وغيرهم وظنوا على نحو مخطئ أنها طريقة السلف، وقد سبق بيان خطأ هذه الطريقة وخطأ تصور أصحابها لمعتقد السلف الصالح، سواء في ذلك من لم يغال في تعصبه لهذه الطريقة كسائر أهل العلم وطلابهم ممن لم يدركوا بعد صحة ما جاء عن السلف وهؤلاء يمثلون السواد الأعظم من المسلمين.. أم من غالى في التعصب للطريقة الخاطئة التي درج عليها الرازي والبيجوري وغيرهما من المتكلمين ومتأخري الأشاعرة ظناً منهم أنها طريقة الأشعري، فلم يكتف بنفي ما يوهم التشبيه على حد زعمه، بل راح يتهم أهل السنة المعتقدين لطريقة السلف الصالح بأنهم مجسمة ومشبهة ويكيل لهم السباب والشتائم التي تصل إلى حد الاتهام بالكفر.

٦- اللاأدرية وأصحاب التجهيل القائلون بأن نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يدرى ما أراد الله ورسوله منها، ومع مخالفة منهجهم هذا- على ما سبق ذكره- لما كان عليه السلف الصالح، فإنهم ينسبونه إليهم ويدعون- بعد أن يتأولوا الصفات مع اعتقادهم أنها من المتشابه- أنه الأسلم، وفي هذا من التناقض ما لا يخفى.

٧- الاتحادية القائلون بوحدة الوجود، وهم طائفة ابن الفارض وابن عربي صاحب الفتوحات المكية وفصوص الحكم وغيرهما ممن أتوا في مصنفاتهم بكفر فاقوا به كفر اليهود القائلين عزير ابن الله، والنصارى القائلين المسيح ابن الله، فإن هؤلاء وأولئك خصوا الحلول بشخص معين، وهؤلاء جعلوا الوجود بأسره على اختلاف أنواعه وتقابل

أضـداده مما لا يسوغ التلفظ بحكايته هو المعبود، وهذه الطائفة إنما بنت مذهبها على أنه تعالى هو عين الوجود، فصفاته هي صفات الله وكلامه هو كلامه، وأداهم لهذا الضلال تعرضهم للبحث عن كنه صفاته جل وعلا، فإنهم لما أصلوا أن الله تعالى غير مباين لهذا العالم المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالث لهما، أحدهما: أنه معدوم لا وجود له إلا في الذهن أو في العقل فوجوده وجود عقلي، إذ لو كان موجودًا في الأعيان لكان إما مباينا للعالم أو حالاً فيه، إما داخلاً فيه أو خارجاً عنه، وهذا معلوم بالضرورة فإنه إذا كان قائماً بنفسه فإنه لا يخرج عن أحد هذين الاحتمالين وهما باطلان، ثانيهما: أن يكون هو عين العالم سارياً فيه، فإنه يصح حينئذ أن يقال أنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا مبايناً له ولا حالاً فيه إذ هو عينه، فرأوا أن هذا الأخير خير من إنكار وجوده أو الحكم عليه بأنه معدوم، ومقتضى ما ارتضوه أن الوجود بأسره هو الحق، بل جميع الأضداد المتقابلة والأشياء المتعارضة، الكل شيء واحد هو في زعمهم معبودهم(١).

٨- الحلولية الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته وينزهونه عن استوائه على عرشه وعلوه على خلقه ولا يصونونه عن أقبح الأماكن وأقذرها، وقد وضح تأثر هؤلاء بكلام الجهمية الذين صرح من تولى كبره منهم لما ناظره السمنية في ربه وحار في ذلك وفكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر، فقال: هو هذا الهواء الذي في كل مكان، وإنما كانوا يتوسلون إلى ذلك بالسلب المحض والتعطيل الصرف كما فهمه منهم أئمة الإسلام، فقد صرح غلاتهم بوجوده تعالى لكن لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا يسار ولا أمام ولا خلف ولا داخل العالم ولا خارجاً عنه ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه ولا مبايناً له ولا حالاً فيه إلى غير ذلك مما هو أدخل في باب التكييف. ونفي وجوده تعالى بنفي أسمائه وصفاته وأفعاله وحكمته إلى غير ذلك، وهؤلاء لا يزال بلاؤهم حتى الآن يشيع في أذهان بعض الخاصة وفي أوساط العامة من الناس فما تكاد تجلس في مجلس خير إلا وتسمع من يقول (الله موجود في كل مكان)، وقد تسمع آخر يقول: (الله موجود في كل الوجود)، وما درى هؤلاء وأولئك أنهم يقولون بقول جهم وأتباعه الذين ما فهموا من صفات الرب تعالى إلا ما يليق بالمخلوقين.

٩- أصحاب التخييل: وهم الذين اعتقدوا أن الرسل لم يفصحوا للخلق بالحقائق، إذ ليس في قواهم إدراكها، وإنما أبرزوا لهم المقصود في صورة المحسوس، قالوا: ولو دعت الرسل أممهم إلى الإقرار برب لا داخل العالم ولا خارجه ولا حالاً فيه ولا مبايناً له ولا متصلاً به ولا منفصلاً عنه ولا فوقه ولا تحته ولا عن يمينه ولا يساره، لنفرت عقولهم من ذلك ولم تصدق بإمكان هذا الموجود فضلاً عن وجوب وجوده.. ولم يكتفوا بهذا أو يقفوا عند حد السلف في السكوت عما سكتوا عنه حتى ضربوا له سبحانه المثل بموجود عظيم جداً أكبر من كل موجود وله سرير عظيم وهو مستو على سريره، يسمع ويبصر ويتكلم ويأمر وينهى ويرضى ويغضب ويأتي ويجيء وينزل وله يدان ووجه ويفعل بمشيئة، وقد ساعدهم على هذا المقصد أصحاب التأويل حتى نقلوا كلماتهم بعينها إلى نصوص الاستواء والفوقية وسائر الصفات الخبرية، لكن هؤلاء أوجبوا أو سوغوا تأويلها بما يخرجها عن حقائقها وظواهرها، وظنوا أن الرسل قصدت ذلك من المخاطبين تعريضاً لهم إلى الثواب الجزيل ببذل الجهد في استخراج معان تليق بها، وأولئك حرموا تأويل الصفات وإن اتفقوا مع المؤولة في إبطال حقائقها المفهومة منها في نفس الأمر(٢).

والحق أن ما قالوه وسول لهم به الشيطان هو تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم، وتعطيل لما يستحقه هو سبحانه من الأسماء والصفات اللائقة به جل وعلا، فإنه إذا قال

القائل: (لو كان الله فوق العرش للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً، وكل ذلك من المحال)، ونحو ذلك من الكلام، فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان.. وهذا نقضٌ لمنهج السلف الصالح وما أجمع عليه الأئمة الماضون من المحدثين والفقهاء والمفسرين واللغويين وغيرهم- والذي ينحصر في أنه تعالى فوق عرشه بائن من خلقه وفي أن استواءه تعالى على عرشه مختص به، ولا يلزمه شيء من تلك اللوازم الباطلة التي يجب نفيها كما يلزم سائر الأجسام- لا يخفى، ولا زلنا نرى أثر ما روجه المعتزلة وأضرابهم ممن أثبتوا ألفاظ أسمائه تعالى دون ما تضمنته من صفات الكمال.

وإنما نشأت هذه الأقوال التي أسلفنا ذكرها، والتي لا يزال - كما ألمحنا - أثرها باقيًا إلى يوم الناس هذا، جراء الزيغ والابتداع واتباع الهوى والتقدم بين يدي الله ورسوله والابتعاد عن منهج الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ونظير خرم إجماعهم على منهج القرآن في تفصيل ما هو مثبت من صفاته تعالى وإجمال ما هو منفي عنه، وقد نبه أئمة العلم إلى مغبة الوقوع فيما يخالف ذلك، كما حذروا من خطورة اتباع الظن وتقديم العقل على النص، ومن ترك التحاكم إلى ما أنزل الله على رسوله من وحي، ومن تحريف للكلم عن مواضعه لاسيما ما تعلق من ذلك بتوحيد الخالق سبحانه، فأوضحوا أن أهل الأهواء إذا وجدوا الأدلة على خلاف ما يعتقدون أو يتفق مع هواهم أولوها وصرفوها عن حقيقة معناها كما فعل المعتزلة في الأدلة المخالفة لأصولهم الخمسة وكما فعلت الجهمية في آيات الصفات(٣).

ولعلنا نلحظ خطورة التعصب للرأي واتباع الهوى عندما نطالع بعضاً مما آل إليه حال أولئك المبتدعة وما وصلوا إليه من جرأة منقطعة النظير، ونذكر من ذلك ما رواه عبيد الله بن معاذ عن أبيه أنه سمع عمرو بن عبيد (إمام المعتزلة) يقول- وذكر حديث الصادق المصدوق: (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك.. الحديث)- «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته، ولو سمعت ابن مسعود يقول هذا لما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا»، وفي معرض حديثه عن الصوفية القائلين بوحدة الوجود يحكي شيخ الإسلام ابن تيمية أشياء من هذا القبيل فيقول: «وحدثني الثقة الذي رجع عنهم لما انكشف له أسرارهم، أنه- يعني (التلمساني)- قرأ عليه (فصوص الحكم) لابن عربي، قال: فقلت له: فإذا كان الكل واحداً فلماذا تُحرِّم عليَّ ابنتي وتحل لي زوجتي؟ فقال: لا فرق عندنا بين الزوجة والبنت، الجميع حلال! لكن المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم».

هكذا ندرك إلى أي مدى يمكن أن يصل العدوان السافر والجرأة المتناهية على أحكام الشريعة وعلى رد النصوص الثابتة المحكمة والاعتراض عليها بفعل الهوى واتباع الظن الذي لا يغني من الحق شيئاً، وذلك من دون شك علامة من علامات الفجور والزندقة، تزداد بازدياد الفساد والضلال والبعد عن منهج السلف الصالح.

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الزلل ويجنبنا الهوى، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، ويهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه إنه يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١ - ينظر الصواعق ص ٥١٠، و معارج القبول ١/٣٠٢، ٣٠٥.

٢ - ينظر الصواعق لابن القيم ص٣٠١، ٦١، ٦٢.

٣ - ينظر الاعتصام ١/٢٤٩ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٦/٤٤٠.

القصة في كتاب الله

الحلقة الثانية

قصة عُزير - عليه السلام

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدّر فهدى، والذي أخرج المرعى فجعله غثاءً أحوى، والصلاة والسلام على النبيِّ المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

أخي القارئ الكريم: لعلك على ذكر من حديثنا في العدد الماضي عن قصة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، وتحدثنا هناك عن المقصود بالقرية وبالذي مرَّ عليها، وانتهينا إلى أن القرية هي بيت المقدس، والذي مرَّ عليها هو «عزير»، وهو نبي من أنبياء بني إسرائيل، وقدَّمنا هناك مسوغات ترجيح هذا الرأي، ووصلنا مع القصة إلى أن أمات الله- سبحانه وتعالى- الرجل ثم بعثه وأخبره ربه أنه مات مائة عام، وقد ظن أنه لبث يومًا أو بعض يوم.

إعداد / عبدالرازق السيد عيد

وهنا وجَّه الله- سبحانه- نظر الرجل ونَظَر كل من يسمع ويقرأ وعنده قدرة على إمعان النظر في الأمور وخلا قلبه من الأهواء المضلة.

قال تعالى: ﴿ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

«البقرة: ٢٥٩».

أولاً: المعاني:

﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ لم يتغير لونه أو طعمه، ومعلوم أن الطعام والشراب من الأشياء التي يتطرق إليها الفساد سريعًا، ولعل الرجل عندما عادت إليه الحياة ورأى طعامه وشرابه كما هو، ظن أنه نام يومًا أو بعض يوم، والحق أن الله أماته مائة عام، وها هو طعامه سواء كان من العنب والتين أو غير ذلك، وشرابه من العصائر أو الماء، كل ذلك محتفظ بحيويته كما هو مع مرور مائة عام عليه، ففي أي مبرد حفظ وحوله عوامل التلف من كل مكان، فسبحان الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير.

﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ أين حماره؟ قد أفناه الموت من سنين مديدة وصار عظامًا بالية ألقتها الريح في كل مكان، هذا إجمال سيأتي بعده تفصيل. فقد بعث الله الحياة في العزير أولاً، وأراد الله- سبحانه- أن يريه بعينه آية عملية تدل على قدرة الله- سبحانه- في إحياء الموتى من خلال مشهد عملي لصورة من صور إحياء الموتى متمثلة في إعادة الحياة إلى حماره خطوة خطوة أمام ناظريه، فسبحان من يحيي العظام وهي رميم، قال الله له: ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً ﴾ أي علامة واضحة على قدرة الله- سبحانه وتعالى- في إحياء الموتى لبني إسرائيل؛ آية ماثلة أمام أعينهم، ولمن يقرأ القرآن بعد ذلك آية متلوة يؤمن بها، ويصدق بها من يؤمن بالله واليوم الآخر.

ثم وجه نظره إلى هذا الدرس العملي على وجه الخصوص ﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ أي: عظام حمارك ﴿كَيْفَ نُنْشِزُهَا﴾ أي: نركب بعضها فوق بعض لتصير هيكلاً عظمياً لحمار، وهناك قراءة «ننشرها» بالراء أي نبعث فيها الحياة ونجمعها من شتات، وفي كل الأحوال، ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ بعد أن تتركب العظام نسترها باللحم والجلد ونبعث فيها الحياة بعد أن كانت رميمًا، رأى العزير ذلك رؤية واضحة لا غموض فيها، فهتف من أعماقه، ﴿أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال صاحب فتح القدير: « أَعْلَمُ: هذا الضرب من العلم الذي لم أكن علمته وهو طمأنينة القلب». اهـ. وقال ابن كثير: «أي أنا عالم بهذا وقد رأيته عيانًا فأنا أعلم أهل زماني بذلك». اهـ. وقرأ آخرون «اعلم» بدون همزة قطع على أنه أمر له بالعلم. أي يأمره ربه بقوله سبحانه «اعلم».

ثانيًا: الفوائد والدروس:

الأولى: في القصة دليل عملي محسوس لبني إسرائيل على قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى مهما طال أمد موتهم، لكن بني إسرائيل على عادتهم في تبديل نعم الله كفرًا قالوا: ﴿عزير ابن الله﴾ «التوبة: ٣٠»، فأحالوا التوحيد شركًا والإيمان كفرًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الثانية: اليهود على مر تاريخهم لا يؤمنون إلا بالمحسوس، وقد حاولوا تأصيل ذلك بكل الصور، فكانوا خَلْفَ النظريات الإلحادية في المادة والحياة، فهذا صنيعتهم «داروين» قال بردِّ الحياة إلى الخلية الأولى، ولكنه لم يسلم بمن وهب الحياة للخلية الأولى- سبحانه-. وهذا صنيعتهم الآخر «فرويد» يردُّ كل سلوكيات الحياة إلى أسباب جنسية بحتة، وصنيعتهم الثالث «ماركس» يرد الصراعات إلى أسباب اقتصادية بحتة. وهكذا صنعوا النظام الرأسمالي لعبادتهم الذهب، وأقاموا مدارس الإلحاد في العالم؛ لأنهم ينكرون البعث والجزاء ولم يستفيدوا من كل ما مر بهم من آيات.

الثالثة: العبرة والدرس ممتد إلى كل من يقرأ كتاب الله القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي نقل إلينا هذه الحقائق وهذه الآيات البينات على لسان رسولنا الأمين ﷺ، ونحن مطالبون بالإيمان بها كما جاءت، وتصديق القرآن الكريم فيما أخبر كأننا نرى هذه الأحداث رأي عين، فيزداد إيماننا ويقوى يقيننا في أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، وأن البعث حق، والجنة حق، والنار حق، وما أخبر به ربنا في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلاَ تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلاَ يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ «فاطر: ٥».

الرابعة: فإذا آمنا بالبعث وصدقنا به فلا نقع فريسة للدنيا ولا للشيطان كما فُعل باليهود، ولنحذر مسالكهم فقد تلاعب بهم الشيطان وانغمسوا في فتنة الحياة الدنيا حتى غضب الله عليهم ولعنهم فهل نتعلم الدرس ونحن نقرأ في كل ركعة: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ «الفاتحة: ٦، ٧»، هل نعي الدرس أم أننا وقعنا فيما حذرنا الله ورسوله منه: «واتبعنا سنن من قبلنا حذو القذة بالقذة»؟.

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

التشابه بين اليهود والرافضة في عقيدة الغلو

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فبعد بيان عقيدة اليهود في الأنبياء والحاخامات، وموقف الرافضة من الصحابة وأمهات المؤمنين، يمكننا أن نؤكد أن عقيدة الغلو في الأئمة والطعن في الصحابة الأخيار انتقلت إلى الرافضة ونَفَذَتْ إلى قلوبهم من كتب اليهود بواسطة ابن السوداء- عبد الله بن سبأ- ويبين هذه الحقيقة ويؤكدها التوافق الكبير بين ما ورد عند الفريقين بهذا الشأن حتى إنك تلمس التوافق بين الألفاظ والجمل، من ذلك:

إعداد / أسامة سليمان

١- زعم اليهود أن الله خاطب موسى بقوله: «أنا جعلتك إلها لفرعون...»، وغالى الرافضة في علي رضي الله عنه حتى ادعوا فيه الربوبية، قال المجلسي في قوله تعالى: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾

[الكهف: ٨٧].

المراد بالرب هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؛ لأن الله جعل تربية الخلائق له.

٢- غالى اليهود في نبي الله دانيال، وقالوا: إن اسمه قاسم الله، وأن روح الله قد حلت فيه، وأن فيه حكمة كحكمة الله، وغالى الرافضة في أئمتهم حتى أطلقوا عليهم أسماء الله الحسنى، ووصفوهم بصفات الله، فنسبوا إليهم زورًا وبهتانًا أنهم قالوا: «فمن الأسماء الحسنى، نحن منبت الرحمة، ومعدن الحكمة، ومصابيح العلم». وافتروا على علي رضي الله عنه أنه قال: «أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظر، وأنا جنب الله ويد الله».

٣- يزعم اليهود أن بعض الأنبياء يعلمون الغيب كزعمهم أن دانيال عليه السلام كان يعلم متى ينزل المطر، على حين يزعم الرافضة أن الأئمة يعلمون الغيب ولا يخفى عليهم شيء في الأرض ولا في السماء، ويعلمون ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة.

٤- دين اليهود لا يكتمل إلا بقراءة التعاليم الثلاثة: تعاليم التوراة، تعاليم المشناة، تعاليم الفامارا.

ففي التلمود: «إن التوراة أشبه بالماء، والمشناة أشبه بالنبيذ، والفامارا أشبه بالنبيذ العطري، ولا غنى للإنسان عن أحدهم»، ودين الرافضة لا يكتمل إلا إذا اجتمعت تعاليم علي وتعاليم الحسين إلى

رسالة النبي ﷺ، يقول الشيرازي: «الإسلام لا يكتمل في قلب ليس فيه محمد وعلي والحسين معًا؛ لأن تعاليم محمد إنشائية، وتعاليم علي تربوية، وتعاليم الحسين إمدادية، وإذا لم تتفاعل هذه العناصر الثلاثة لا يبرز الإسلام إلى الوجود».

٥- يفضل اليهود الحاخامات على الأنبياء فقالوا: «التفت إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى»، وبذات السياق يفضل الرافضة الأئمة على أنبياء الله، قال الخميني: «إن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

٦- يتطابق الفريقان في قدرة الأنبياء والحاخامات والأئمة على استطاعة إرجاع الحياة للأموات.

٧- التطابق أيضًا في أقوال الحاخامات والأئمة فقالت اليهود: «يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة، وقالت الرافضة: إن تعاليم الأئمة كتعاليم القرآن يجب تنفيذها».

٨- يتفق الفريقان في عصمة الحاخامات والأئمة، فعلى حين يرى اليهود أن الله عصم الحاخامات من الخطأ والنسيان، يعتقد الرافضة أن الأئمة لا يجوز عليهم الخطأ والسهو والغفلة والنسيان.

٩- يقرر اليهود أن من جادل حاخاما فكأنما جادل العزة الإلهية، وتدعي الرافضة أن الرد على الأئمة كالرد على الله تعالى.

١٠- التشابه بين الفريقين في ترك نصرة من زعموا حبه، فعلى حين قالت اليهود لموسى عليه السلام: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَا هُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [المائدة: ٢٤]، فإن خذلان الرافضة لعلي والحسين وزيد بن علي بن الحسين لا يخفى على أحد حتى قال لهم رضي الله عنه: أصبت والله لا أصدق قولكم ولا أطمع في نصركم ولا أوعد العدو بكم». (شرح نهج البلاغة ٢/١١١).

وما موقفهم من الحسين إلا بيان لهذه الحقيقة.

هذه بعض أوجه الشبه المتطابقة بين الفريقين في جانب المدح والغلو فيمن يزعمون حبه، أما في مقام الذم والقدح والطعن فإن التطابق هو السمة الغالبة على العقيدتين أيضًا، من ذلك:

١- ذهب اليهود إلى كفر عيسى عليه السلام وأتباعه، وزعم الرافضة كفر الصحابة وردتهم، فهم لم يدخلوا الإسلام إلا نفاقًا ورياءً.

٢- قذف اليهود مريم البتول عليها السلام بالفاحشة فبرأها الله سبحانه في أشرف كتبه، ورمى الرافضة الصديقة بنت الصديق فنزلت براءتها من رب العالمين لتخرس أفواههم الفاجرة.

٣- استعمال الفريقين للرموز في كتبهم لمن أرادوا الطعن فيه، فعلى حين يرمز اليهود لعيسى عليه السلام برمز «جيشو» و«ذلك الرجل»، و«ابن النجار»، و«ابن الحطاب»، ويرمزون لمريم عليها السلام بـ «ماري»، ويرمز الرافضة لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما بـ «الجبت والطاغوت»، و«صنمي قريش»، و«فرعون وهامان»، و«العجل والسامري»، و«زريق وجتبر»، ويرمزون لعثمان رضي الله بـ «نعثل والثالث»، ولعائشة رضي الله عنها بـ «أم الشرور» و«صاحبة الجمل».

من كل ما سبق يتضح لنا أن الرفض صناعة يهودية، فالمغالاة في الحب والذم سمة بارزة عند الفريقين، فالحب عندهم يدفعهم للثناء والمدح، والبغض والكراهية يدفعانهم للذم والقدح بلا وسطية ولا عدل، ورب العالمين يقول: ﴿ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة: ٨]. لأجل ذلك نهى رسول الله ﷺ عن الغلو فقال ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». رواه أحمد.

وقال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله». رواه البخاري.

وصدق الله سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [النساء: ١٧١].

والله من وراء القصد.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

قال الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الانعام: ١٥٢].

من هدي رسول الله ﷺ

عيادته أهل الكتاب

عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: أسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال: أطع أبا القاسم. فأسلم. فخرج النبي ﷺ وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار. [رواه البخاري].

فضل شهر المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل و أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم. [صحيح مسلم].

فضل صيام عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم عاشوراء ؟ فقال: يكفر السنة الماضية. [صحيح مسلم].

من دلائل النبوة

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بينما رجل راكب على بقرة التفتت إليه فقالت إني لم أخلق لهذا إنما خلقت للحرث، فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر، وبينما رجل في غنمه إذ عدا الذئب عليها، فذهب منها بشاة فطلبه حتى استنقذها منه فقال له الذئب هنا استنقذتها مني فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري؟ فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر. [مسند أحمد].

من فضائل الصديق

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه حدثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما». [صحيح مسلم]

إعداد/ علاء خضر

من أقوال السلف

قال رجل لأبي بكر بن عياش: يا أبا بكر، من السني ؟ قال: الذي إذا ذكرت الأهواء لم يغضب لشيء منها.

و عن أبي بن كعب أنه قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإن اقتصاداً في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنة، وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهاداً واقتصاداً أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم.

[الاعتصام].

حكم ومواعظ

عن عطاء السلمي أنه عوتب في كثرة البكاء، فقال: إني إذا ذكرت أهل النار وما ينزل بهم من عذاب الله تعالى مثلت نفسي بينهم فكيف لنفس تغل يدها وتسحب إلى النار ولا تبكي ؟

وقال يحيى بن معاذ: الدنيا خمر الشيطان: من شربها لم يفق إلا بين عساكر الموتى.

من دعائه ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال: «اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء». زاد وهب في حديثه: «اقض عني الدين وأغنني من الفقر». [سنن أبي داود].

من وصايا السلف

قال أبو علي الحسن بن علي: من علامات السعادة على العبد تيسير الطاعة عليه، وموافقة السنة في أفعاله، وصحبته لأهل الصلاح، وحسن أخلاقه مع الإخوان، وبذل معروفه للخلق واهتمامه للمسلمين، ومراعاته لأوقاته.

من حكمة الشعر

قال أبو العتاهية موص ولده:

اسلكْ بنيَّ مناهجَ الساداتِ
وتخلقَنْ بأشرفِ العاداتِ
لاتلهينَّكَ عن معادكَ لذةٌ
تَفْنى وتورثُ دائمَ الحَسَراتِ
إن السعيدَ غداً زهيدٌ قانعٌ
عندَ الإلهِ بأخلصِ النياتِ
أقم الصلاةَ لوقتها بشروطِها
فمن الضلالِ تفاوتُ المقياتِ

أخطاء لغوية شائعة

بُدائية: من الخطأ أن تقول الشعوب البِدائية والصواب الشعوب البُدائية.

تنصّت: أو أن تقول تصنّت الرجل والصواب تنصّت لأنها من: (ن ص ت).

جَعْبَتُهُ: أو أن تقول أخرج ما في جُعبته والصواب جَعْبَتُهُ.

عام جديد ونداءات الرحمة

الحمدُ لله الواسعِ العظيم، الجوادِ البَرِّ الرَّحيم، خلقَ كلَّ شَيْء فقدَّره، وأنزلَ الشرعَ فيَسَّره وهو الحكيمُ العليم، بدأ الخلقَ وأنهاه، وسيَّر الفلكَ وأجراه، ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

أحمدُهُ على ما أولَى وهدَى، وأشكرهُ على ما وهبَ وأعطَى، وأشهدُ أنه لا إله إلاَّ هو الملك العليُّ الأعلى، الأولُ الَّذي ليس قَبْلَه شَيْء، والآخِرُ الَّذي ليس بَعْدَه شيء، والظاهرُ الَّذي ليس فوقَه شيء، والباطِنُ الَّذي ليس دونَه شيء، وهو بكلِّ شيء عليم، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المصطفى على، صلَّى الله عليه وعلى صاحبِه أبي بكر أفضل الصِّدِّيقين، وعلى عمرَ المعروفِ بالقوةِ في الدِّين، وعلى عثمانَ المقتولِ ظلماً بأيدي المجرمين، وعلى عليٍّ أقربِهم نسباً على اليَقين، وعلى جميع آلِهِ وأصحابِه والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وسلَّم تسليماً.

إعداد / أيمن دياب

إن العمر يمر، والسنوات تكر، ليلٌ يأتي ونهارٌ يفر، وإنها شاهدةٌ للإنسان أو عليه بما أودعها من الأعمال، فمن أودعها عملاً صالحاً فليحمد الله على ذلك وليُبْشِر بحُسْنِ الثوابِ، فإن الله لا يُضيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملاً. ومن أودعها عملاً سيئاً فَليتُبْ إلى ربِّه توبةً نصوحاً فإن الله يتوبُ على من تاب، ولَقَدْ شرعَ الله لنا في أيام دهرنا عباداتٍ تزينا من الله دهرنا وتزيدُ في إيمانكم قُوةً وفي سِجلِّ أعمالنا حسنات.

إنه وإن انْقَضَى عام فإن عمل المؤمنِ لا ينقضي قبلَ الموت. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال النبيُّ ﷺ: «إذا مَاتَ الإنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ». فلم يَجْعلْ لانقطاع العملِ غايةً إلاَّ الموتَ، فلئِن انقضى عام فإن المؤمنَ لن ينقطعَ من عبادةِ ربه بذلك، فلا تزالُ العبادات مشروعة ولله الحمد في العام كلِّه.

فليجتهد المسلم إخوانِي في فعلِ الطاعاتِ، وليجتنب الخطايا والسيئاتِ، ليفوز بالحياةِ الطيبةِ في الدنيا والأجْرَ الكثير بعد المَمَات، قال الله عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

النداء الأول: التوبة إلى الله:

قال الإمام النووي - رحمه الله - :

قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى، لا تتعلق

بحق آدمي؛ فلها ثلاثة شروط.

أحدها: أن يقلع عن المعصية: وهذا من أهم الشروط، والإقلاع عن الذنب: إن كان الذنب ترك واجب؛ فالإقلاع عنه بفعله؛ مثل أن يكون شخص لا يزكي، فأراد أن يتوب إلى الله، فلابد من أن يخرج الزكاة التي مضت ولم يؤدها. وإذا كان الإنسان مقصراً في بر الوالدين؛ فإنه يجب عليه أن يقوم ببرهما، وإذا كان مقصراً في صلة الرحم؛ فإنه يجب عليه أن يصل الرحم.

وإن كانت المعصية بفعل محرم، فالواجب أن يقلع عنه فوراً، ولا يبقى فيه ولا لحظة.

فإذا كانت من أكل الربا مثلاً، فالواجب أن يتخلص من الربا فوراً، بتركه والبعد عنه، وإخراج ما اكتسبه عن طريق الربا، وإذا كانت المعصية بالغش والكذب وخيانة الأمانة، فالواجب عليه أن يقلع عن ذلك كله، وإذا كانت غيبة، فالواجب أن يقلع عن غيبة الناس والتكلم في أعراضهم

والثاني: أن يندم على فعلها: لأن شعور الإنسان بالندم هو الذي يدل على أنه صادق في التوبة.

والثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبداً.

فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة استحله منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب. وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة: قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[النور: ٣١]، وقال تعالى: ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣]،

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ [التحريم: ٨].

وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا». لكن الذي لم يتب قبل أن تطلع الشمس من مغربها لا تقبل توبته؛ لأن هذه آية يشهدها كل أحد، وإذا جاءت الآيات المنذرة لم تنفع التوبة ولم ينفع الإيمان؛

النداء الثاني: الإخلاص في جميع الأعمال والأقوال البارزة والخفية.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، ولما في الصحيحين من حديث عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

«النية» محلها القلب، ولا مجال للسان فيها.

واعلم: أن الشيطان قد يأتيك عند إرادة عمل الخير، فيقول لك: إنك إنما تعمل هذا رياء، فيحبط همتك ويثبطك ولكن لا تلتفت إلى هذا، ولا تطعه، بل اعمل لأن هذا هو الوسواس الذي أدخله الشيطان في قلبك، لا تلتفت له، وافعل الخير.

النداء الثالث: الصبر.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله الصبر في اللغة: الحبس.

والمراد به في الشرع: حبس النفس على أمور ثلاثة:

الأول: على طاعة الله ؛ بأن يصبر الإنسان على طاعة الله لأن الطاعة ثقيلة على النفس، وتصعب على الإنسان، وكذلك ربما تكون ثقيلة على البدن بحيث يكون مع الإنسان شيء من العجز والتعب، وكذلك أيضا يكون فيها مشقة من الناحية المالية؛ كمسألة الزكاة ومسألة الحج، فالطاعات فيها شيء من المشقة على النفس والبدن، فتحتاج إلى صبر، وإلى معاناة قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠].

الثاني: عن محارم الله: الصبر عن محارم الله بكف الإنسان نفسه عما حرم الله عليه، لأن النفس الأمارة بالسوء تدعو إلى السوء، فيصبر الإنسان نفسه.مثل الكذب، والغش في المعاملات، وأكل المال بالباطل بالربا أو غيره، والزنى، وشرب الخمر، والسرقة، وما أشبه ذلك من المعاصي الكثيرة. قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠]

الثالث: على أقدار الله المؤلمة: أي الصبر على أقـدار الله المؤلمة ؛ لأن أقـدار الله عـز وجل على الإنسان ملائمة ومؤلمة.

الملائمة: تحتاج إلى الشكر.

والمؤلمة: تحتاج إلى الصبر.

قـال تعـالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]. وقَـالَ ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ». هذه أنواع الصبر التي ذكرها أهل العلم.

النداء الرابع: الصدق.

قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - الصدق: معناه مطابقة الخبر للواقع، هذا في الأصل.

ويكون في الإخبار، فإذا أخبرت بشيء وكان خبرك مطابقاً للواقع قيل: إنه صدق.

فالخبر إن طابق الواقع فهو صدق، وإن خالف الواقع فهو كذب.

وكما يكون الصدق في الأقوال يكون أيضاً في الأفعال.

فالصدق في الأفعال: هو أن يكون الإنسان باطنه موافقاً لظاهره، بحيث إذا عمل عملاً يكون موافقاً لما في قلبه.

فالمرائي مثلا ليس بصادق؛ لأنه يظهر للناس أنه من العابدين وليس كذلك.

والمشرك مع الله ليس بصادق؛ لأنه يظهر أنه موحد وليس كذلك.

والمنافق ليس بصادق، لأنه يظهر الإيمان وليس بمؤمن.

والمبتدع ليس بصادق، لأنه يظهر الاتباع للرسول- عليه الصلاة والسلام- وليس بمتبع.

المهم أن الصدق مطابقة الخبر للواقع، وهو من سمات المؤمنين وعكسه الكذب، وهو من سمات المنافقين، نعوذ بالله.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال ﷺ «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يكتب عند الله صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَابًا».

> المنافق ليس بصادق، لأنه يظهر الإيمان وليس بمؤمن، والمبتدع ليس بصادق، لأنه يظهر الاتباع للرسول- عليه الصلاة والسلام- وليس بمتبع

النداء الخامس: المراقبة (أن تعبد الله كانك تراه؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك).

اعلم أن المراقبة لها وجهان:

الوجه الأول: أن تراقب الله عز وجل: أما مراقبتك لله فأن تعلم أن الله- تعالى- يعلم كل ما تقوم به من أقوال وأفعال واعتقادات. قال الله تعالى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٩، ٢٢٠].

والوجه الثاني: أن الله تعالى رقيب عليك: تعلم أن أي شيء تقوله، أو تفعله، أو تضمره في سرك فالله تعالى عليم به.قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، تقتضي هذه الآية أنك إذا آمنت بأن الله معك، فإنك تتقيه وتراقبه ؛ لأنه لا يخفى عليه عز وجل حالك مهما كنت، لو كنت في بيت مظلم ليس فيه أحد ولا حولك أحد فإن الله تعالى معك، لكن ليس في نفس المكان، وإنما محيط بك عز وجل لا يخفى عليه شيء من أمرك. فتراقب الله، وتخاف الله، وتقوم بطاعته، وتترك مناهيه.

ولهذا لما سئل النبي ﷺ عن الإحسان قال: «أَنْ

الإنسان ينبغي له أن يسارع في الخيرات، كلما ذكر له شيء من الخير بادر إليه، فمن ذلك الصلاة، والصدقة، والصوم، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، إلى غير ذلك من مسائل الخير التي ينبغي المسارعة إليها

تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

اعبد الله كأنك تراه، كأنك تشاهده رأي عين، فإن لم تكن تراه فانزل إلى المرتبة الثانية: «فإنه يراك».

فالأول: عبادة رغبة وطمع، أن تعبد الله كأنك تراه، والثاني: عبادة رهبة وخوف، ولهذا قال: «فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

النداء السادس: المبادرة إلى الخيرات والمحافظة عليها (أسْرِعْ أسْرِعْ، عَجِّلْ عَجِّلْ).

وهذا النداء يتضمن أمرين:

الأول: المبادرة والمسارعة إلى الخير.

والثاني: أن الإنسان إذا عزم على الشيء - وهو خير - فليمض فيه ولا يتردد.

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾

[البقرة: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[آل عمران: ١٣٣].

فالإنسان ينبغي له أن يسارع في الخيرات، كلما ذكر له شيء من الخير بادر إليه، فمن ذلك الصلاة، والصدقة، والصوم، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، إلى غير ذلك من مسائل الخير التي ينبغي المسارعة إليها ؛ لأن الإنسان لا يدري، فربما يتوانى في الشيء ولا يقدر عليه بعد ذلك، إما بموت، أو مرض، أو فوات، أو غير هذا، لذا قال ﷺ «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا»

لذا بادروا بالأعمال قبل فوات الأوان ؛ سارعوا سارعوا قبل انقضاء الآجال:

الصلاة:

الصلاة تُغْفَرُ بها الذنوب: قال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود آية: ١١٤]، وقال: ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قَالُوا لاَ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ قَالَ فَـ «لِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِنَّ الْخَطَايَا»

الصلاة تُدخل الجنّة: قال ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»

الصلاة نور لك يوم القيامة: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

[الحديد آية: ١٢].

وقال: ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

الصيام:

الصيام وجزاء الرحمن- عز وجل-: قَالَ اللَّهُ عز وجل في الحديث القدسي: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»

الصيام وباب الريان: قال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»

الصيام وقاية من النيران: قال ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَعَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا».

الصدقة:

أفضل الصيام بعد رمضان: قال: ﷺ «أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللَّهِ الْمُحَرَّمُ»

الإنفاق في سبيل الله: قال الله تعالى: ﴿وما

أنفقْتُم مِن شَيْءٍ فهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ [سبا: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿ومَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ ومَا تُنفِقُونَ إلاَّ ابتغاءَ وَجْهِ الله ومَا تُنفِقُوا مِنْ خَيرٍ يُوَفَّ إلَيْكُمْ وَأَنْتُم لا تُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٧٢]

أنت في ظل صدقتك يوم القيامة:

قال ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُفْصَلَ بَيْنَ النَّاس، أَوْ قَالَ: يُحْكَمَ بَيْنَ النَّاس»

قال الإمام أحمد - رحمه الله - في «مسنده» «قَالَ يَزِيدُ: وَكَانَ أَبُو الخَيْرِ لاَ يُخْطِئُهُ يَوْمٌ إِلاَّ تَصَدَّقَ فِيهِ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَعْكَةً أَوْ بَصَلَةً أَوْ كَذا»

أنت في ظل عرش الرحمن يوم القيامة:

قال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ» ومنهم «رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ»

الصدقة تطفئ غضب الرب عز وجل:

قَال ﷺ: «صدقة السر تطفئ غضب الرب»

ذكر الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَاذكُروا الله كَثيراً لَعَلَّكم تُفْلِحونَ﴾ [الجمعة:١٠].

الذكر يحبه الرحمن:

قَالَ: ﷺ «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»

الذكر يُثقل الميزان:

قَالَ: ﷺ «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ».

الذكر يكفر الذنوب:

قَالَ ﷺ: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»

بر الوالدين:

قال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا الله وَلا تُشْرِكوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾[النساء:٣٦].

بر الوالدين أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: «أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تعالى ؟ قال «الصَّلاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قلت: ثم أي ؟

قال: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قلت: ثم أي ؟

قال «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»

بر الوالدين أفضل من الجهاد في سبيل الله عز وجل:

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ فَقَالَ: «أَحَيٌّ وَالِدَاكَ»؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ»

بر الوالدين وأبواب الجنان:

قال ﷺ: «الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ أَوِ احْفَظْهُ»

عقوق الوالدين وأبواب النيران:

قَالَ ﷺ: «ثَلاثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ومنهم: «الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ» .

ثم قال ﷺ: «وَثَلاثَةٌ لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ» ومنهم: «الْعَاقُّ لِوَالِدَيْهِ»

وأخيراً إخواني:

قال العلامة ابن عثيمين - رحمه الله - «الخير له طرق كثيرة وهذا من فضل الله عز وجل على عباده من أجل أن تتنوع لهم الفضائل والأجور، والثواب الكثير، وأصول هذه الطرق ثلاثة: إما جهد بدني، وإما بذل مالي، وإما مركب من هذا وهذا، هذه أصول طرق الخير.

أما الجهد البدني فهو أعمال البدن ؛ مثل الصلاة، والصيام، وما أشبه ذلك، وأما البذل المالي فمثل الزكوات، والصدقات والنفقات، وما أشبه ذلك، وأما المركب فمثل الجهاد فسبيل الله بالسلاح ؛ فإنه يكون بالمال ويكون بالنفس، ولكن أنواع هذه الأصول كثيرة جداً، من أجل أن تتنوع للعباد الطاعات، حتى لا يملوا. لو كان الخير طريقاً واحدًا لمل الناس من ذلك وسئموا، ولما حصل الابتلاء، ولكن إذا تنوع كان ذلك أرفق بالناس، وأشد في الابتلاء.

قال الله تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨].

وقال تعالى:﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ ﴾[الأنبياء:٩٠].

وهذا يدل على أن الخيرات ليست خيراً واحداً، بل طرق كثيرة».

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اتبعوا
ولا تبتدعوا

تحذير المسلمين من مشابهة المشركين

إعداد /
معاوية محمد هيكل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن من الأصول العظيمة لديننا الحنيف الولاء للإسلام وأهله، والبراءة من الكفر وأهله، ومن مقتضيات ذلك أن يتميز المسلم عن الكفار، وأن يعتز بدينه ويفخر بإسلامه، ولقد طالب الإسلام أتباعه بالتميز في العقائد والشعائر والسلوك والأخلاق والمعاملات وفي الملبس والمأكل والمشرب وكل الأعمال الظاهرة والباطنة.

والمتأمل لواقع المسلمين اليوم لا يجد ضعفًا في التميز فحسب، بل يجد تأثرًا من كثير من المسلمين بغيرهم من أتباع الملل الضالة والكافرة ؛ تقليدًا لهم وتشبهًا بهم في كثير من أمورهم.

وفي هذا المقال نحذر من هذا السلوك الخطير، فنقول مستعينين بالله تعالى:

أولاً: كمال الشريعة وكفايتها

يقول الله تعالى ممتنًا على عباده: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٩].

فهذه الآية الكريمة تدل على تمام الشريعة وكمالها، وكفايتها لكل ما يحتاجه الخلق.

يقول ابن كثير في تفسيره: هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه.

وكل شيء أخبر به؛ فهو حق وصدق، لا كذب فيه ولا خلف، كما قال تعالى: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ﴾ أي صدقًا في الأخبار، وعدلاً في الأوامر والنواهي، فلما أكمل لهم الدين؛ تمت عليهم النعمة.

فلا يُتصور أن يجيء إنسان، ويخترع في الشريعة شيئًا؛ لأن الزيادة عليها تعد استدراكًا على الله تبارك وتعالى، وتوحي بأن الشريعة ناقصة، وهذا يخالف ما جاء به كتاب الله تبارك وتعالى. فلا يتصور إنسان يزيد على شرع الله، ويكون غير مذموم.

عن طارق بن شهاب ؛ قال: «قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية في كتابكم، لو علينا معشر اليهود نزلت ؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا ! قال: وأي آية ؟ قالوا: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾. قال عمر: والله إني لأعلم اليوم الذي نزلت على رسول الله ﷺ فيه، والساعة التي نزلت فيها: نزلت على رسول الله ﷺ عشية عرفة، في يوم الجمعة». رواه البخاري.

وأخرج الطبراني في «معجمه الكبير» (١٦٤٧) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء ؛ إلا وهو يذكر لنا منه علمًا. قال: فقال ﷺ: «ما بقي شيء يُقَرِّبُ من الجنة ويباعد من النار ؛ إلا وقد بُيِّنَ لكم».

فهذا الحديث النبوي الشريف فيه التصريح الجلي الواضح بأن كل ما يقرب إلى الجنة قد بينه لنا رسولنا ﷺ، وأنّ كل ما يباعدنا عن النار، إلا وقد بينه لنا- أيضًا- رسولنا عليه الصلاة والسلام.

فأي إحداثٌ أو ابتداع أو تقليد لأحد إنما هو استدراك على الشريعة، وجرأة شنيعة ينادي بها صاحبها أن الشريعة لم تكْفِ، ولم تكتمل، فاحتاجت إلى إحداثه وابتداعه!!

وهذا ما فهمه تمامًا أصحاب النبي ﷺ كما صح عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا ؛ فقد كفيتم، وكل بدعة ضلالة».

«فإذا كان ذلك كذلك ؛ فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله: إن الشريعة لم تتم، وإنه بقي منها أشياء يجب استدراكها ؛ لأنه لو كان معتقدًا لكمالها وتمامها من كل وجهٍ ؛ لم يُبْتَدع، ولا استدرك عليها، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكًا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة ؛ فقد زعم أن محمدًا ﷺ خان الرسالة ؛ لأن الله يقول: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾، فما لم يكن يومئذٍ دينًا، فلا يكون اليوم دينًا». (الاعتصام للشاطبي).

«فطرق الدين والعبادات الصحيحة إنما هي ما بينه الذي خلق الخلق على لسان رسوله محمد ﷺ، فمن زاد على هذا أو نقص ؛ فقد خالف الحكيم الخلاق العليم، بتركيبه الأدوية من عند نفسه، فربما صار دواؤه داءً، وعبادته معصية، وهو لا يشعر ؛ لأن الدين قد كمل تمام الكمال، فمن زاد شيئًا فيه ؛ فقد ظن الدين ناقصًا، وهو يكمله باستحسان عقله الفاسد وخياله الكاسد». (مفتاح الجنة للمعصومي ص٥٨).

وقال الإمام الشوكاني في «القول المفيد» (ص٣٨) مناقشًا بعض المبتدعين في شيء من آرائهم: «فإذا كان الله قد أكمل دينه قبل أن يقبض نبيه ﷺ فما هذا الرأي الذي أحدثه أهله بعد أن أكمل الله دينه؟!

إن كان من الدين في اعتقادهم ؛ فهو لم يكمل عندهم إلا برأيهم، وهذا فيه رد للقرآن ! وإن لم يكن من الدين ؛ فأي فائدة في الاشتغال بما ليس من الدين ؟!

وهذه حجة قاهرة، ودليل عظيم، لا يمكن لصاحب الرأي أن يدفعه بدافع أبدًا، فاجعل هذه الآية الشريفة أول ما تصكّ به وجوه أهل الرأي، وترغم به آنافهم وتدحض به حُججهم».

الصراط المستقيم والنهي عن مشابهة الكفار والأمر بمخالفتهم

أمرنا الله تبارك وتعالى أن ندعوه في كل ركعة من صلواتنا طالبين منه الهداية إلى الصراط المستقيم، قائلين: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾.

ومعنى الصراط المستقيم هو: الإسلام الخالي من الزيادة والنقصان، النقي من كل بدعة وخرافة، هذا الصراط الذي هو أقرب الطرق للوصول إلى ما يحب الله ويرضى وفق ما أمر، وبلغ رسوله ﷺ وهو الصراط الذي قال عنه: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

ومعنى قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ أي غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه، وغير صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم هائمين في الضلالة، لا يهتدون إلى الحق، وأكد الكلام بـ «لا» ليدل أن ثمة مسلكين وهما طريقة اليهود وطريقة النصارى، وأن طريق أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى ؛ لأن من علم وترك استحق الغضب بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إليه لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه وهو اتباع الحق ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال ومغضوب

عليه، ولكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال الله عنهم: ﴿ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٦٠]، وأخص أوصاف النصارى الضلال، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٧٧].

روى حماد بن سلمة عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾؟ قال: «اليهود»، و: ﴿ الضَّالِّينَ ﴾؟ قال: «النصارى هم الضالون». وهكذا رواه سفيان بن عيينة بسنده عن عدي بن حاتم.

(تيسير العلي القدير في اختصار ابن كثير).

قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى.

علماء الضلالة

ومن هنا نعلم أن كثيرًا من علماء الضلال يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى، فلا يرشدون إلى ترك بدعة ولا يأمرون بامتثال سنة ولا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر، وعليهم يصدق قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩].

كما أن بعضهم يخالف علمه وينحرف عن جادة الصواب، بل قد يُحسِّن أمورًا محرمة في شرع الله ورسوله، وأعظم من ذلك أنه قد يشجع الناس على تلك الأمور المنكرة إرضاءً للعامة كما شجع الكثيرون وحسنوا العقائد الكافرة والأفكار الضالة وحبذ كثير منهم التبرج والسفور والرقص والمجون ونحو ذلك من الضلالات والانحرافات، فهؤلاء وأمثالهم أشبه باليهود الذين فسر المفسرون بأنهم المغضوب عليهم لأنهم ضلوا بعلمهم، قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

التشبه وأثره السيء في فساد العقيدة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ثم إن الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات، وقد تكون أيضًا عادات في الطعام واللباس والنكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة والركوب وغير ذلك.

وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما -ولا بد- ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أمورًا ظاهرة وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعورًا وأحوالاً.

وقد بعث الله عبده ورسوله محمدًا ﷺ بالحكمة التي هي السنة، وهي الشرعة والمنهاج، الذي شرعه الله.

فكان من هذه الحكمة: أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، وأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر، وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة لأمور:

منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر، تورث تناسبًا وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمرٌ محسوس فإن اللابس لثياب أهل العلم -مثلاً- يجد في نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه مقتضيًا لذلك، إلا أن يمنعه من ذلك مانع.

ومنها: أن المخالفة في الهدي الظاهر، توجب مباينة ومفارقة توجب الانقطاع عن موجبات الغضب وأسباب الضلال، والانعطاف إلى أهل الهدى والرضوان وتحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين، وكلما كان القلب أتم، كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنًا وظاهرًا أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدي الظاهر توجب الاختلاط الظاهر حتى يرتفع التمييز ظاهرًا بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين، إلى غير ذلك من الأسباب.

هذا إذا لم يكن ذلك الظاهر إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم فإنه يكون شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالهم ومعاصيهم.

فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له، والله أعلم.

(اقتضاء الصراط المستقيم).

إخبار النبي ﷺ أن هذه الأمة تأخذ مأخذ اليهود والنصارى والمجوس

١- ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع

حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال: «فمَنْ؟».

قال القاضي عياض: الشبر والذراع والطريق ودخول الجحر تمثيل للاقتداء بهم في كل شيء مما نهى عنه الشرع وذمه، وكذا النووي قال: وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ، فقد وقع ما أخبر به. وقال الحافظ ابن حجر: قد وقع معظم ما أنذر به ﷺ وسيقع بقية ذلك.

٢- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تاخذ أمتي باخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع». فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم، فقال: ومن الناس إلا أولئك».

٣- عن المستورد بن شداد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تترك هذه الأمة شيئًا من سنن الأولين حتى تأتيه».

أخرجه الطبراني، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٢١٩).

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «لتركبن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل جُحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه».

(أخرجه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٠٦٧).

الأدلة من القرآن على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن التشبه بهم

١- قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فانظر كيف قال في الخبر «ملتهم»، وفي النهي «اهواءهم» لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقًا، والزجر وقع من اتباع أهوائهم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين، نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه.

٢- قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩- ١٥٠].

قال غير واحد من السلف: معناه لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة، فيقولوا: قد وافقونا في قبلتنا، فيوشك أن يوافقونا في ديننا فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة، إذ «الحُجة» اسم لكل ما يحتج به من حق وباطل، ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وهم قريش- فإنهم يقولون: عادوا إلى قبلتنا، فيوشك أن يعودوا إلى ديننا فبين سبحانه أن من الحكمة نسخ القبلة وتغييرها مخالفة الكافرين في قبلتهم، ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل، ومعلوم أن هذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة، فإن الكفر إذا اتبع في شيء من أمره كان له من الحجة مثل ما كان أو قريب مما كان لليهود في الحجة في القبلة.

٤- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ومعلوم أن الكفار فرقوا دينهم وكانوا شيعًا، كما قال سبحانه: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]، وقال تعالى عن اليهود: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤].

وقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ يقتضي تبرؤه منهم في جميع الأشياء، ومن تابع غيره في بعض أموره فهو منه في تلك الأمور ؛ لأن قول القائل: «أنا من هذا، وهذا مني» أي: أنا من نوعه، وهو من نوعي ؛ لأن الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع كما في قوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥].

والسنة تحذر من التشبه بالكفار وتأمر بمخالفتهم

١- جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنها: «من تشبه بقوم فهو منهم». (أخرجه أبو داوود وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦١٤٩).

قال شيخ الإسلام: في هذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم»

٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «غيروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود». (أخرجه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤١٦٧).

فإذا نهى عن التشبه بهم في بقاء بياض الشيب الذي ليس من فعلنا فلأن ينهى عن إحداث التشبه بهم أولى ولهذا فإن هذا التشبه بهم يكون محرمًا بخلاف الأول.

٤- وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا المشركين، أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى».

فأمر بمخالفة المشركين مطلقًا، وهذه الجملة الثانية بدل من الأولى.

٥- وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا اليهود، فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم». (أخرجه أبو داوود وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٢١٠).

٦- وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر». (رواه مسلم).

وهذا يدل على أن الفصل بين العبادتين أمر مقصود للشارع، وقد صرح بذلك فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر، لأن اليهود والنصارى يؤخرون». وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر هو لأجل مخالفة اليهود والنصارى.

وإذا كانت مخالفتهم سببًا لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فتكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة.

٧- عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزال أمتي بخير- أو قال على الفطرة- ما لم يؤخروا المغرب إلى أن تشتبك النجوم». (أخرجه أبو داوود وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٢٨٥).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لم يوالكوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل أصحاب النبي النبي ﷺ، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ... ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، فقال رسول الله ﷺ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود، فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه. (رواه مسلم).

فهذا الحديث يدل على كثرة ما شرعه الله لنبيه ﷺ من مخالفة اليهود، بل على أنه خالفهم في عامة أمورهم، حتى قالوا: ما يريد أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه.

٩- النهي عن الصلاة في أوقات «خشية التشبه بالكفار».

عن أبي أُمامة عن عمرو بن عبسة قال: كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، فإنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، قال: فسمعت برجل بمكة يخبر أخبارًا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا هو رسول الله ﷺ مستخفيًا، جرآء عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت: «ما أنت؟» فقال: «أنا نبي». فقلت: «وما نبي؟» فقال: «أرسلني الله». فقلت: بأي شيء أرسلك ؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء». فقلت له: «فمن معك على هذا؟» قال: «حر وعبد». قال: «ومعه يومئذ أبو بكر وبلال». فقلت: «إني متبعك». قال: «إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس ؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فائتني». قال: فذهبت إلى أهلي، وقدم رسول الله ﷺ المدينة، وكنت في أهلي، فجعلت أستخبر الأخبار، وأسأل الناس، حتى قدم نفر من أهل يثرب- أي من أهل المدينة- فقلت: ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة؟ فقالوا: الناس إليه سراع، وقد أراد قومه قتله، فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فقلت: يا رسول الله أتعرفني ؟ قال: «نعم أنت الذي لقيتني بمكة». قال: فقلت: يا نبي الله، أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة. قال: «صلِّ صلاة الصبح، ثم اقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلِّ، فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى يستقل الظل بالرمح، ثم اقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلِّ، فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار». (أخرجه مسلم).

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى

جزاء المحسنين

الحمد لله عالم السرِّ والنجوى، المطلع على الضمائر وكل ما يخفى، أحمده سبحانه، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد أفضل مَن أحسن العمل، وراقب مولاه في السرِّ والعلن، وبعد:

فالإحسان في اللغة: ضد الإساءة، وهو مصدر أحسن، إذا أتى بما هو حسن.

واصطلاحًا: الإتيان بالمطلوب شرعًا على وجه حسن. وقد أوضح رسول الله ﷺ الإحسان في حديث جبريل عليه السلام المشهور حين ساله عن الإحسان؟ فكان جوابه ﷺ: «أن تَعْبُدَ اللّـهَ كأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لم تَكُنْ تراهُ فإنَّهُ يراكَ». [رواه مسلم ٨].

فبين ﷺ معنى الإحسان، وهو أن يفعل الإنسان ما تعبَّده الله به كأنه واقف بين يدي الله، وذلك يستلزم تمام الخشية والإنابة إليه سبحانه، ويستلزم الإتيان بالعبادة على وفق الخطة التي رسمها رسوله عليه الصلاة والسلام ؛ لأن من مقتضى الإيمان بالله عز وجل الإيمان بأنه تعالى مطلع على جميع الخلائق يعلم أحوالهم ويشاهد تصرفاتهم وأعمالهم، ويسمع أقوالهم، لا يفوته شيء من ذلك، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس: ٦١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، «شيء» نكرة في سياق النفي في قوله: «لا يخفى» فتعمُّ كل شيء، فكل شيء لا يخفى على الله في الأرض ولا في السماء، وقد فصَّل الله هذا في قوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

تفيد هذه الآيات وغيرها من آي الكتاب العزيز إلى جانب ما تقرره من شمول علم الله وكماله واطلاعه ومراقبته وعظيم قدرته ورعايته وهيمنته، تفيد إلى جانب ذلك تعليم عباده بأن يراقبوه ويستحضروا قربه ويستشعروا على الدوام أنَّ الله عز وجل مطلع على حركاتهم وسكناتهم، على أقوالهم وأفعالهم وما يختلج في صدورهم، ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣، ١٤]، ويتأكد ذلك الاستشعار عندما يشرع المسلم في عبادة من العبادات بحيث يقوم فيها بين يدي خالقه ومولاه مقام من آمن واستشعر أن الله تعالى يراه أو كأنه هو الذي يرى الله عز وجل، وهذه أعلى درجات السلوك مع الله تعالى ؛ لأن العاقل إذا تذكر أنَّ الله رقيب عليه أحسن عمله رغبة فيما عند الله من الثواب للمحسنين، خوفًا من العقاب الذي أعده للمسيئين، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ومن رحمته وفضله سبحانه أن جعل الجزاء من جنس العمل، ومن ذلك أنه جعل ثواب الإحسان إحسانًا: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فمن أحسن عمله أحسن الله جزاءه، وقد أوضح سبحانه في كتابه العزيز جزاء المحسنين وأنه أعظم جزاء وأكمله، فقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وهذه الآية فسرها رسول الله

إعداد / عبده الأقرع

ﷺ بما رواه مسلم في صحيحه عن صهيب- رضي الله عنه- بأنَّ الحسنى الجنَّة، والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل.

ولا يخفى ما بين هذا الجزاء وذلك العمل الذي هو الإحسان من المناسبة، فالمحسنون الذين عبدوا الله كأنهم يرونه جعل جزاءهم على ذلك العمل النظر إليه عيانًا في الآخرة، وعلى العكس من ذلك الكفار الذين طُبع على قلوبهم، فلم تكن محلاً لخشيته ومراقبته في الدنيا، فعاقبهم الله على ذلك بأن حجبهم عن رؤيته في الآخرة، ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، كما أنَّ جزاء الذين أحسنوا الحسنى، فإنَّ عاقبة الذين أساءوا السوأى كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى﴾ [الروم: ١٠]، ولمزيد عناية الإسلام بالإحسان وعظيم منزلته، نوَّه سبحانه بفضله وأخبر أنه يحب المحسنين وأنه معهم، وكفى بذلك فضلاً وشرفًا فقال سبحانه: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]،

وقال: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]،

وقد ضمَّن رسول الله ﷺ جوابه عن الإحسان بيان السبب الحافز على الإحسان لمن يبلغ هذه الدرجة العالية والمنزلة الرفيعة، ألا وهو تذكير فاعل العبادة بأنَّ الله مطلع عليه لا يخفى عليه شيء من أفعاله، وسيجازيه على ذلك، فعلى العبد أن يأخذ نفسه بمراقبة الله تبارك وتعالى، ويلزمها إياها في كل لحظة من لحظات عمره، حتى يتم لها اليقين بأنَّ الله مطلع عليها، عالم بأسرارها، رقيب على أعمالها، قائم عليها وعلى كل نفس بما كسبت، وهذا أرفع مراتب الدين، وقد مدح الله الذين يخشونه بالغيب، وبيَّن جزاءهم فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢]،

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يونس: ١١].

وقد عدَّ رسول الله ﷺ خشية الله في السر والعلانية من المنجيات، فقال ﷺ: «ثلاثٌ منجيات: خَشْيَةُ الله في السِّرِّ والعلانية، والعدل في الرِّضا والغضَبِ، والقَصدُ في الفَقْرِ والغنى».

[الصحيحة ١٨٠٢، وصحيح الجامع ٣٠٣٩].

فخشية الله في السِّر والعلانية أساس عمل المسلم كله ومعاملاته، لأنه بإيمانه بالغيب سيعمل كل خيرٍ طمعًا في ثواب الله، وبمخافة الله بالغيب سيتجنب كل سوء، وقد ذمَّ اللهُ أولئك الذين يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله، فقال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٨].

فعظِّم- أخي- حرمات الله في السِّر والعلانية: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠]،

واحذر كل الحذر ممن قال فيهم رسول الله ﷺ: «لأعلمنَّ أقوامًا من أُمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تِهامة(١)، بيضاءَ فيجعلها الله عز وجل هباءً(٢) منثورًا».

قال ثوبان: يا رسول الله، صفهم لنا، جلِّهم لنا، ألا نكون منهم ونحن لا نعلم، قال: «أما إنَّهم إخوانُكم ومن جلدتكم ويأخذونَ من الليل كما تأخذون، ولكنَّهم إذا خَلَوْا بمحارم الله انتهكوها».

[ابن ماجه في كتاب الزهد ٤٢٤٦، والصحيحة ٥٠٥].

وحسبك قول القائل:

إذا ما خلوتَ الدهر يومًا فلا تقل
خلوت ولكن قل عليَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا أنَّ ما تُخفي عليه يغيب
الم تر أن اليوم أسرع ذاهب
وأنَّ غدًا للناظرين قريب

اللهم ارزقنا خشيتك في السرِّ والعلن.

هوامش

١- معنى تِهَامة: أرض منخفضة بين ساحل البحر وسلسلة الجبال في الحجاز واليمن.

٢- معنى هباءً: التراب الذي تُطيره الريحُ، وقد ينبث في الهواء فلا يبدو إلا في ضوء الشمس، ويقال: ذهب عمله هباءً، أي هدرًا جمَعها.

الأسرة المسلمة في ظلال التوحيد

الحمد لله القائل: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، والصلاة والسلام على نبينا محمد خير من عظَّم شعائر الله وحرماته، فكان أعبد الناس وأخشاهم وأتقاهم لربه جل وعلا. وبعد:

أكتب هذا المقال هذه المرة من حرم الله- تعالى- الآمن مكة المكرمة ولا زلت متلبسًا بالنسك. كل أعمال الحج يتجلى فيها مظاهر العبودية وتحقيق التوحيد والخضوع والانقياد لرب العباد، ولذلك كان قول الله تعالى في سورة الحج وهو يعلِّم عباده مناسك الحج ومقاصده: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج].

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الأب المسلم وتعليم أولاده تعظيم حرمات الله

سألتني ابنتي الصغيرة ٨ سنوات بعد أن رمينا جمرة العقبة فقالت: ما فائدة رمي الجمرات ؟ إننا نرمي طوبًا، وقد أعجبني السؤال بشدة لأنه يدل على أن الطفل يفكر جيدًا بعقله، ولا ينبغي أن نهمل عقل الأطفال وتفكيرهم، ووجب في هذا المقام البيان والتوضيح والتعليم والإفهام والإقناع، فقلت لها ما مدلوله: إن رمي الجمار أحد مظاهر الإيمان في الحج، وهو أحد المواضع التي يظهر فيها إقامة ذكر الله، كما ذكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إنما جُعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله».

ولتوضيح ذلك نلاحظ أن أصل الرمي هو أن الشيطان عرض لإبراهيم الخليل ﷺ فلم يلتفت له بل رماه، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لما أتى إبراهيم خليل الله المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض».

فالجمار من آثار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وقد أمرنا الله تعالى بالتأسي بإبراهيم عليه السلام فقال عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الآية، ومن التأسي بإبراهيم عليه السلام التأسي به في موقفه مع الشيطان، ورَمْيُ إبراهيم ورمي نبينا عليهم صلوات الله هو من إقامة ذكر الله، ذلك أن الرجم بالحجارة من أكبر مظاهر العداوة، وذكر الله هنا هو الاقتداء بإبراهيم عليه السلام في عداوة الشيطان ورميه وعدم الانقياد له، فكان الرمي رمزًا وإشارة إلى عداوة الشيطان التي أمرنا الله تعالى بها في قوله: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، وقال مُنكِرًا على من والاه: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف]، ومعلوم أن الرجم بالحجارة من أكبر مظاهر العداوة.

(أضواء البيان ج٤/ ص٤٧٩).

تعظيم السلف لحرمات الله تعالى

السلف رضوان الله عليهم هم ذلك الجيل الفريد الفذ المثال القدوة والإمام، وهم الميزان العدل الذي توزن عليه جميع تصرفات البشر، فإن وافقت فذلك الهدي وإلا فلا، قال الله تعالى عن الصحابة رضوان الله عليهم وهم حول نبيهم ﷺ: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة].

إذن كل ما يأتي به الناس من أفكار واجتهادات تخالف ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، فإنما هو الشقاق والنفاق والزندقة والفرقة والضلالة والتيه والعمى والسعي الضال.

هؤلاء السلف رضي الله عنهم كانوا يعظمون ما عظم الله ورسوله، وسأذكر من ذلك فقط محظورات الإحرام من مناسك الحج لضيق المقام، خاصة وأن كثيرًا من الناس ينتهكون الحرمات ويفعلون المحظورات دون وازع تقوى أو وجل أو خوف من الله عز وجل.

عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ فيما بين مكة والمدينة، وهم محرمون وأنا رجل حِلٌّ على فرس، وكنت رقَّاءً على الجبال، فبينا أنا على ذلك إذ رأيت الناس متشوفين لشيء، فذهبت أنظر فإذا هو حمار وحشي، فقلت لهم: ما هذا ؟ قالوا: لا ندري، قلت: هو حمار وحشي، فقالوا: ما رأيت، وكنت نسيت سوطي (أي الذي يصطاد به)،

تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب

فقلت لهم: ناولوني سوطي، فقالوا: لا نعينك عليه، فنزلتُ فأخذته ثم ضربت في أثره (أثر الحمار)، فلم يكن إلا ذاك حتى عقرته، فأتيت إليهم فقلت لهم: قوموا فاحتملوا، قالوا: لا نمسه، فحملته حتى جئتهم به، فأبى بعضهم وأكل بعضهم، فقلت: أنا أستوقف لكم النبي ﷺ، فأدركته فحدثته الحديث، فقال لي: أبقيَ معكم شيء منه ؟ قلت: نعم، فقال: كلوا فإنما هو طعم أطعمكموه الله». (البخاري).

وهذا بيان الحديث بيان لتعظيم الصحابة رضوان الله عليهم لمحظورات الإحرام التي منها الصيد أو الإعانة على صيده ولو بالإشارة، فإن أبا قتادة لما سألهم عنه قالوا: لا ندري، مع علمهم أنه حمار وحشي، ولما طلب منهم مناولة سوطه قالوا: لا نعينك.

ومن مظاهر تعظيمهم رضوان الله عليهم لمحظورات الإحرام أن الله توعد من عاد ليصطاد ثانية وهو محرم بالانتقام منه في الدنيا بالكفارة، وفي الآخرة بالعقوبة، وإن بعض السلف لا يرون الحكم على من عاد بالكفارة، بل يقال له: «اذهب الله ينتقم منك» تعظيمًا لشأن محظورات الإحرام، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ [المائدة: ٩٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: من قتل شيئًا من الصيد وهو محرم حُكم عليه فيه مرة واحدة، فإن عاد يقال له: ينتقم الله منك، كما قال الله عز وجل.

وعنه أيضًا قال: إذا أصاب المحرم الصيد حُكم عليه، فإن عاد لم يُحكم عليه، وكان ذلك إلى الله عز وجل إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ (أخرجه ابن جرير في تفسيره ٧/٦٠).

وقد جاء رجل إلى شريح فقال: إني أصبتُ صيدًا وأنا محرم، فقال: هل أصبت قبل ذلك شيئًا ؟ قال: لا، قال: لو قلت نعم وكلتك إلى الله يكون هو ينتقم منك إنه عزيز ذو انتقام، عن الشعبي أن شريحًا قال لرجل في ذلك: أما إنك لو قلت نعم لم أحكم عليك. (المصدر السابق).

ووردت مثل هذه الآثار أيضًا عن الأعمش وعن سعيد بن جبير وعن مجاهد وعن الحسن وغيرهم، وهذه الأقوال من هؤلاء الأئمة الأعلام تبين تعظيمهم لما عظم الله من محظورات الإحرام، فقد فهموا من الآية أن «من عاد» فعقوبته في الآخرة، وقد خالف غيرهم ورأى أنه لا بد من الكفارة أيضًا، وقد جمع ابن جرير الطبري بين الأمرين فقال: «.. ومن عاد لقتله الصيد بعد نهي الله تعالى عنه فينتقم الله منه، وعليه مع ذلك الكفارة لأن الله تعالى إذا أخبر أنه ينتقم منه لم يخبرنا، وقد أوجب عليه في قتله الصيد عمدًا ما أوجب من الجزاء أو الكفارة بقوله: «ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم أنه قد أزال عنه الكفارة في المرة الثانية والثالثة...» إلخ. (تفسير الطبري ٧/٦٢).

◘◘ تعظيم الحرام والحلال داخل الأسرة المسلمة ◘◘

خلق الله الخلق لعبادته وتنفيذ أمره: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وكما أنه صاحب الخلق فهو صاحب الأمر والتشريع، وليس لأحد حق التشريع سواه، والتقرب إليه سبحانه يكون بتطبيق شرعه، وليس لأحد أن يبتدع عبادة لم يأذن بها الله ويشرعها، وتحقيق العبودية هو في تطبيق هذا الشرع وليس بالإضافة عليه، أو الحذف منه، والمسلم يتقرب إلى الله بتطبيق هذا الشرع، وقد ينسى أحيانًا أو يتبادر إلى ذهنه أنه بحاجة إلى التقرب لربه أكثر وأكثر فيظن أن تحريمه شيئًا من الحلال على نفسه يقربه إلى الله، وقد ورد هذا الأمر عن أصحاب النبي ﷺ، فقد جلس النبي ﷺ يومًا فذكَّر الناس ثم قام فلم يزدهم على التخويف، فقال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا عشرة منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعثمان بن مظعون رضي الله عنه: ما حقنا إن لم نحدث عملاً ؟ فإن النصارى قد حرموا على أنفسهم، فنحن نحرم، فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار، وحرم بعضهم النوم، وحرم بعضهم النساء، فكان عثمان بن مظعون رضي الله عنه ممن حرم النساء، وكان لا يدنو من أهله، ولا يدنون منه، فأتت امرأته عائشة رضي الله عنها، وكان يقال لها: الحولاء، فقالت لها عائشة رضي الله عنها ومن عندها من نساء النبي ﷺ: ما بالك يا حولاء متغيرة اللون لا تمتشطين ولا تطيبين ؟ قالت: وكيف أتطيب وأمتشط وما وقع عليَّ زوجي ولا رفع

عني ثوبًا منذ كذا وكذا ؟ فجعلن يضحكن من كلامها، ودخل رسول الله ﷺ وهن يضحكن فقال: ما يضحككن ؟ قالت: يا رسول الله، الحولاء سألتها عن أمرها فقالت: ما رفع عني زوجي ثوبًا منذ كذا وكذا، فأرسل إليه فدعاه، فقال: ما بالك يا عثمان ؟ قال: إني تركته لله لكي أتخلى للعبادة، وقص عليه أمره، وكان عثمان قد أراد أن يجبَّ نفسه، فقال رسول الله ﷺ: «أقسمت عليك إلا راجعت فواقعت أهلك». فقال: يا رسول الله، إني صائم، قال: أفطر، فأفطر وأتى أهله. فرجعت الحولاء إلى عائشة وقد اكتحلت وامتشطت وتطيبت، فضحكت عائشة، فقالت: ما بالك يا حولاء ؟ فقالت: إنه أتاها أمس، فقال رسول الله ﷺ: «ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والنوم ؟ ألا إني أنام وأقوم، وأفطر وأصوم، وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

فنزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]، يقول لعثمان: لا تجب نفسك فإن هذا هو الاعتداء، وأمره أن يكفر أيمانه، فقال: ﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة].

(تفسير ابن جرير ١٠٠٩/٧، وأصل القصة في الصحيحين).

فطاعة الله تعالى وخشيته ليست بتحريم الحلال والاعتداء على حق الله وحق النفس وحقوق العباد، وإنما تحقق بإعطاء كل ذي حق حقه، فحق الله الذي خلق هذا الإنسان ورزقه، هو وحده صاحب الحق في أن يحل له ما يشاء ويحرم عليه ما يشاء، وأن خروجه على هذا اعتداءً على حق الله تعالى، كما أن تحريمه لبعض الحلال المرتبط بنفسه كالنوم وأكل اللحم ونحوه، أو المرتبط بزوجه كالنكاح ونحو ذلك من الأمور التي يحرمها الإنسان تقربًا إلى الله، فهو بهذا التحريم اعتدى على حق الله في التشريع، واعتدى على حق نفسه، بحرمانها من الطيبات التي أحلها الله، واعتدى على حق غيره من زوج أو أقارب أو مجتمع، وصار العمل الذي يظنه قربة سببًا في وقوعه في الإثم، ولذلك جاءت الآية واضحة صريحة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة].

والنبي ﷺ بيّن في الحديث المتقدم أن التقوى والخشية لله سبحانه وتعالى لا تحمل على تحريم الحلال، وأن تحريم الطيبات التي أحلها الله هو اعتداء على الله وخروج عن سنة رسول الله ﷺ، كما بين في الحديث الآخر أن حق التحريم مقصور على الله، وأنه لا يحرم شيئًا من تلقاء نفسه، وحين يفهم أصحابه من نهيه إياهم عن شيء أنه حرمه يسارع إلى تصحيح ذلك الفهم. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لم نَعْدُ أن فُتِحت خيبر فوقعنا أصحاب رسول الله ﷺ في تلك البَقْلة الثوم والناس جياع فأكلنا منها أكلاً شديدًا، ثم رحنا إلى المسجد فوجد رسول الله ﷺ الريح فقال: مَن أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئًا فلا يقربن المسجد. فقال الناس: حُرِّمت، حرمت، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «أيها الناس، إنه ليس بي تحريم ما أحل الله لي، ولكنها شجرة أكره ريحها».

(رواه مسلم في صحيحه).

فالمسلم حينما يدخل في النسك بنيته ويظهر ذلك على جوارحه ؛ إما بلباس الإحرام أو بالتلبية يتذكر هذا المعنى العظيم، وهو الطاعة التامة لله تعالى والاستسلام له في شرعه وأمره حيث يدخل في الإحرام في الزمن المعين والمحدد من الله تعالى، وفي المكان المعين والمحدد من الله في الميقات الزماني والمكاني الذي شرعه الله، فهو وحده صاحب الحق بالتشريع والأمر والنهي والتحليل والتحريم، وفي تطبيق هذا تحقيق للإيمان، ولهذا نادى الله سبحانه عباده بصفة الإيمان، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾

[المائدة: ٨٧].

تعليم الأولاد هدي رسول الله ﷺ في الدعاء والذكر

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قلما كان رسول الله ﷺ يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا». (حديث حسن: رواه الترمذي ح٣٥٠٢ وقال: حسن، والنسائي والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي، وزاد في أوله: «اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، وما أنت أعلم به مني».

اللهم اجعلنا ممن يعظم شعائرك وحرماتك، ولا يقدم بين يدي الله ورسوله، وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شيء، والحمد لله رب العالمين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة التسعون

قصة المرأة التي اعترضت على الخليفة عمر رضي الله عنه في مسألة المهور

إعداد / علي حشيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الوعاظ والقصاص واستغل الرافضة هذه القصة للطعن في شخصية الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، واتهموه بأن امرأة أفقه منه، بل واعترضته في خطبته التي خطبها على منبر رسول الله ﷺ، وعمر رضي الله عنه يستغفر الله مما قاله، وإلى القارئ الكريم القصة وتخريجها وتحقيقها.

أولاً: المتن

رُوِيَ عن الشعبي قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: ألا لا تغلوا في صداق النساء، فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال، ثم نزل، فعرضت له امرأة من قريش، فقالت: يا أمير المؤمنين، أكتاب الله أحق أن يتبع أو قولك ؟ قال: بل كتاب الله تعالى، فما ذاك ؟ قالت: نهيت الناس آنفًا أن يغالوا في صداق النساء، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلاَ تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٢٠]، فقال عمر رضي الله عنه: كل أحد أفقه من عمر، مرتين أو ثلاثًا، ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له.

ثانيا: التخريج

أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/٢٣٣) قال: أخبرنا أبو حازم الحافظ أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن حمزة الهروي، حدثنا أحمد بن نجدة، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا هشيم، حدثنا مجالد عن الشعبي قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه... فذكر القصة.

وأخرجه سعيد بن منصور في السنن (١/١٦٦- ١٦٧)

(ح٥٥٩٨) قال: حدثنا هشيم، حدثنا مجالد، عن الشعبي به.

قلت: وبهذا يكون البيهقي رحمه الله أخرج القصة بسنده فالتقى مع سعيد بن منصور في شيخه هشيم.

ثالثًا: التحقيق

القصة واهية، والسند الذي جاءت به القصة تالف بالسقط في الإسناد والطعن في الراوي.

أولاً: السقط في الإسناد:

١- قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (٤/٣٠٠) (عامر بن شراحيل الشعبي): «سمعت أبي وأبا زرعة يقولان: الشعبي (عن) عمر، مرسل».

ملحوظة:

أ- المرسل عند المحدثين: هو ما سقط من آخره بعد التابعي، وصورته أن يقول التابعي سواء كان كبيرًا أو صغيرًا، قال رسول الله ﷺ...

ب- المرسل عند الفقهاء والأصوليين أعم من ذلك فعندهم: كل منقطع مرسل على أي وجه كان انقطاعه، وهذا مذهب الخطيب أيضًا.

قُلْتُ: وبهذا يتبين أن قول الإمامين أبي حاتم وأبي زرعة: «الشعبي (عن) عمر، مرسل» أي منقطع.

٢- ولذلك قال الإمام البيهقي في «السنن» (٧/٢٢٣) بعد أن أخرج القصة: «هذا منقطع».

٣- قلت وعلامات الانقطاع ظاهرة بمعرفة «التواريخ والوفيات»، وهو أحد أنواع علوم الحديث أورده الإمام النووي في «التقريب» (٢/٣٤٩- تدريب) وقال: «النوع الستون: التواريخ والوفيات: هو فن مهم به يعرف اتصال الحديث وانقطاعه، وقد ادعى قوم الرواية عن قوم فنُظر في التاريخ فظهر أنهم زعموا الرواية عنهم بعد وفاتهم بسنين». اهـ.

أ- ولقد نقل الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٥/٦٠) عن ابن حبان: «أن الشعبي كان مولده سنة (٢٠) ومات سنة (١٠٩)».

ب- وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/٥٤): «عمر بن الخطاب أمير المؤمنين استشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين». من (أ، ب) يتبين أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه توفي وعند الشعبي ثلاث سنوات، وهذا ليس بسن إدراك ولا تمييز كما بيّن ذلك الإمام البخاري في كتاب «العلم»، باب: متى يصح سماع الصغير.

وحسبنا ما أوردناه آنفًا من أقوال أئمة الصنعة الحديثية بأن الحديث: منقطع.

ثانيًا: علة أخرى مع الانقطاع: مجالد وهو ابن سعيد.

١- أورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (١٠/٣٦) ونقل أقوال أئمة فيه:

أ- قال ابن أبي خيثمة عن ابن معين: مجالد بن سعيد ضعيف واهي الحديث.

ب- وقال الدوري عن ابن معين: لا يحتج بحديثه.

جـ- وقال أبو طالب عن أحمد: ليس بشيء.

د- وقال ابن أبي حاتم سئل أبي يحتج بمجالد؟ قال: لا.

٢- أخرج الإمام ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/٣٦١) أقوال هؤلاء الأئمة والتي نقلها الحافظ ابن حجر.

٣- وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢): «مجالد بن سعيد كوفي، ضعيف».

٤- وقال الإمام البخاري في «الضعفاء الصغير» (٣٦٨): «مجالد بن سعيد بن عمير الكوفي كان يحيى القطان يضعفه، وكان ابن مهدي لا يروي عنه عن الشعبي، وقال أحمد:

مجالد ليس بشيء». اهـ.

٥- وقال الإمام ابن حبان في «المجروحين» (٣/١٠): «مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني من أهل الكوفة يروي عن الشَّعبي، كان رديء الحفظ، يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، لا يجوز الاحتجاج به». اهـ.

٦- قال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/٣٦١): حدثنا محمد بن إبراهيم بن شعيب حدثنا عمرو بن علي الصيرفي قال سمعت يحيى بن سعيد القطان يقول لعبد الله: أين تذهب؟ قال: أذهب إلى وهب بن جرير أكتب السيرة- يعني عن مجالد. قال تكتب كذبًا كثيرًا. اهـ.

قلت: بهذا يتبين أن مجالد بن سعيد لا يحتج بحديثه وأنه رديء الحفظ ليس بشيء واهي الحديث، وبيّنا آنفًا السقط في الإسناد، فبالطعن في الراوي والسقط في الإسناد تصبح القصة واهية.

ولذلك قال الشيخ الألباني- رحمه الله- في «الإرواء» (٦/٣٤٨): «فهو ضعيف منكر يرويه مجالد عن الشعبي عن عمر».

رابعًا: طريق آخر للقصة

رُوِيَ عن أبي عبد الرحمن السُّلمي قال: قال عمر بن الخطاب: لا تُغالوا في مهور النساء، فقالت امرأة: ليس ذلك لك يا عمر، إن الله يقول: ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾، فقال عمر: إن امرأة خاصمت عمر فخصَمته.

خامسًا: تخريج هذا الطريق

أخرجه الإمام عبد الرزاق في «المصنف» (٦/١٤٥) (ح١٠٤٦١) قال: «عبد الرزاق عن قيس بن الربيع عن أبي حصين عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: قال عمر بن الخطاب: لا تغالوا في مهور النساء...» القصة.

سادسًا: التحقيق:

هذا الطريق الذي جاءت به القصة الواهية طريق واهٍ، وله علتان:

الأولى: سقْط أيضًا في الإسناد، فعبد الله بن حبيب أبو عبد الرحمن السُّلمي، أورده الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في كتابه «المراسيل» في ترجمة رقم (١٧٠/٣٨٥) قال: «ذكر أبي (عن) إسحاق بن منصور (عن) يحيى بن معين؛ قيل له: سمع أبو عبد الرحمن السُّلميُّ عمر؟ قال: لا». اهـ.

قلت: وبهذا يصبح السند منقطعًا؛ لوجود سقط بين أبي عبد الرحمن السُّلمي وبين عمر رضي الله عنه ؛ لثبوت عدم سماعه من عمر.

العلة الثانية: قيس بن الربيع:

١- قال أبو عبيد الآجُرّي في «سؤالات أبي عبيد الآجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل» (٥٤): «قال أبو داود: سمعت يحيى بن معين يقول: قيس بن الربيع ليس بشيء».

٢- أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٣/٣٩٣/٦٩١١) وقال: «قيل لأحمد: لِمَ تركوا حديثه؟ قال: كان يتشيع، وكان كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة». اهـ.

٣- وأورده الحافظ ابن حجر في «التهذيب» (٨/٣٥١) وقال:

أ- قال عبد الله بن علي بن المديني: سألت أبي عنه فضعفه جداً.

ب- وقال الجوزجاني: ساقط. اهـ.

٤- أورده الإمام النسائي في كتاب «الضعفاء والمتروكين» ترجمة رقم (٤٩٩) وقال: «قيس بن الربيع متروك الحديث، كوفي». اهـ.

قلت: هذا المصطلح عند الإمام النسائي له معناه كما بيّن ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (٦٨) حيث قال: «ولهذا كان مذهب النسائي ألا يُترك حديثُ الرجل حتى يجتمع

الجميع على تركه». اهـ.

قلت: من هذا التحقيق يتبين أن هذا الطريق لا يزيد القصة إلا وهنًا على وهن، وليس كما يظن جهلة المتصوفة والروافض أن تعدد الطرق يقوي بعضها بعضًا على الإطلاق، ولقد سُئل عن هذا الإمام ابن الصلاح كما هو في كتاب «علوم الحديث» (ص١٠٧) حيث قال: «لعل الباحث الفَهِمَ يقول: إنا نجد أحاديث محكومًا بضعفها مع كونها قد رُويتْ بأسانيد كثيرة من وجوه عديدة، فهلا جعلتم ذلك وأمثاله من نوع الحسن ؛ لأن بعض ذلك عضَّد بعضًا ؟ وجواب ذلك: أن ليس كل ضعيف في الحديث يزول بمجيئه من وجوه، بل ذلك يتفاوت، فمن ذلك ضعف لا يزول بنحو ذلك لقوة الضعف، وتقاعد هذا الجابر عن جبره ومقاومته، وذلك كالضعف الذي ينشأ من كون الراوي متهمًا بالكذب أو كون الحديث شاذًا، وهذه جملة تفاصيلها تدرك بالمباشرة والبحث، فاعلم ذلك فإنه من النفائس العزيزة». اهـ.

ولقد أقر هذا وبينه الحافظ ابن كثير في كتابه «اختصار علوم الحديث» (ص١٦) حيث قال: «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا، لأن الضعيف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات ؛ يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا، كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: وبتطبيق هذه القاعدة الهامة التي غفل عنها مَنْ لا دراية له بعلم الحديث التطبيقي على هذا الطريق الثاني الذي جاءت به القصة والذي فيه قيس بن الربيع والذي قال فيه الإمام النسائي: «متروك»، ولقد بينا مذهب الإمام النسائي في هذا المصطلح، فتصبح القصة واهية ولا يزول ما بها من ضعف بل تزداد ضعفًا على ضعف، لما فيها من سقط في الإسناد وطعن في الرواة.

ويصبح ما شاع على الألسنة من اعتراض امرأة على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس صحيحًا، وهذه من القصص التي يروجها الرافضة للطعن في شخصية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وادعائهم أن امرأةً خاصمت عمر فَخَصمتْه، خاصة وقد تبين أن من رواة هذه القصة مَنْ قال فيه الإمام أحمد بن حنبل: «كان يتشيع، وكان كثير الخطأ، وله أحاديث منكرة، لهذا تركوا حديثه»، كما بينا آنفًا، وإن تعجب فعجب أن امرأة تراجع عمر رضي الله عنه في خطبته في مسجد رسول الله ﷺ والصحابة والتابعون في المسجد وكأنهم لا يفقهون.

سابعًا: مكانة عمر فوق ما تروِّجه الشيعة

فقد أخرج البخاري في صحيحه ح(٣٤٦٩) و(٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدَّثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب».

قُلْتُ: ولقد نقل الإمام النووي رحمه الله في «شرح مسلم» (٨/٢١) تفسير العلماء للمراد بـ «مُحدَّثون» (بفتح الدال المشددة)، وأن البخاري قال: «يجري الصواب على ألسنتهم». اهـ.

ثانيًا: قصة صحيحة تبين فضل عمر رضي الله عنه في العلم:

اخرج البخاري في صحيحه ح(٨٢، ٣٦٨١، ٧٠٠٦، ٧٠٠٧، ٧٠٢٧، ٧٠٣٢)، ومسلم ح(٢٣٩١) من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا نائم أُتيتُ بقدح لبن فشربتُ حتى إني لأرى الرِّيَّ يخرج في أظفاري، ثم أعطيتُ فضلي عمر بن الخطاب». قالوا: فما أوّلته يا رسول الله ؟ قال: «العلم». اهـ.

قُلْتُ: ومن هذين الحديثين الصحيحين في

مناقب عمر رضي الله عنه يتبين أن قصة المرأة التي اعترضت على الخليفة عمر رضي الله عنه قصة منكرة جعل منها الرافضة امرأة أفقه من عمر رضي الله عنه، بل من مناكيرهم قولهم: إن عمر قال: كل أحد أفقه من عمر!!

تاسعًا: قصة أخرى صحيحة ترد هذه الافتراءات

أخرج البخاري في صحيحه ح(٤٠٢، ٤٤٨٣، ٤٧٩٠، ٤٩١٦)، والإمام أحمد (٢٣/١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وافقت ربي في ثلاث، فقال: يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله، لو أمرت نساءك أن يحتجِبن فإنه يكلمهنّ البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: عسى ربُّه إن طلَّقكُن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن، فنزلت هذه الآية ». اهـ.

حفظ الله عمر رضي الله عنه من افتراءات الرافضة، هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

* * *

إشهار

تشهد مديرية التضامن الاجتماعي بالدقهلية بانه قد تم قيد جمعية أنصار السنة المحمدية بمنية سمنود مركز أجا برقم (١٣٥٩٩ بتاريخ ٢٠٠٦/٥/١٧م طبقًا للقانون (٨٤) لسنة ٢٠٠٢م بشان الجمعيات والمؤسسات الأهلية واللائحة التنفيذية لذلك القانون.

بشرى سارة

مجلة التوحيد في معرض الكتاب الدولي

بشرى لقراء مجلة التوحيد

حيث تعلن المجلة عن وجود مجلدات التوحيد، وأعداد مختلفة من المجلة بالمعرض في (دار الإبانة للنشر والتوزيع) سرايا ألمانيا - أ

كما تعلن عن قبول اشتراكات المجلة بنفس دار العرض

أخطار تهدد الأسرة (سوء الاختيار)

إعداد / شوقي عبدالصادق

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة واجبة على الإنس والجان، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وخير من دعا إليه بإحسان.

وبعد:

فإن من أعظم الشركات التي يؤسسها الإنسان هي الشركة بين الزوج وزوجه ؛ لأن منتجات هذه الشركة عبارة عن ذرية هي أفضل ما في هذا الوجود، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وهذه الذرية يرجى لها حمل أمانة الدين، وصيانة التوحيد، وحماية الديار والأعراض، وبناء المجتمع المسلم والأمة المسلمة المنوط بها قيادة الإنسانية إلى بر الأمان لتسعد في الدنيا والآخرة، وبناءً على هذا لا بد من الحذر والحيطة في اختيار كل شريك لشريكه، وأن يلتزم الشريكان أُسسًا جاء بها الشرع المطهر عند هذا الاختيار. وتركُ هذه الأسس يجعل الاختيار سيئًا ويكون من أعظم الأخطار التي تهدد كيان هذه اللبنة الأولى- الأسرة- وإليك أيها المكرم هذه الأسس.

أولاً: الدين

إن الدين أعظم وشيجة تربط بين الزوجين، لأن حب الزوجين لبعضهما هو حب فطري، فإذا تُوج هذا الحب الفطري بالحب في الله صار الزوجان من أسعد الناس، ومن اختار شريكه على غير أساس الدين فقد أساء وتعدى وظلم نفسه وغيره، لقوله تعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ﴾ [النساء: ٣٤]، ولقوله تعالى: ﴿ وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ ﴾ [النور: ٣٢].

ولما رواه أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أتاكم من ترضون خُلُقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض».
(السلسلة الصحيحة ١٠٢٢ حسن لغيره).

ولما رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك». (اللؤلؤ والمرجان ٩٢٨).

ومعنى قوله: «فاظفر بذات الدين» أي: عليك بذات الدين فإن هذا هو اللائق بذوي المروءات وأصحاب الديانات أن يكون الدين هو أساس الاختيار وخصوصًا فيما يدوم وتطول عشرته كالزوجة. ومعنى «تربت يداك» من ترب الرجل إذا افتقر، وهي كلمة شائعة، أي: افتقرت يداك إن خالفت ما أمرتك به وهو الظفر بذات الدين، ولأن صاحب الدين كنز وخير من ملء الأرض من الفساق وممن رق دينهم أو لا دين لهم، لما رواه البخاري عن سهل قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا ؟» قالوا: حَرِيٌّ إن خطب أن يُنكح وإن شَفَعَ أن يشفَّع وإن قال أن يُسْتَمَع، قال: ثم سكت. فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حري إن خطب ألا ينكح، وإن شفع ألا يشفَّع، وإن قال ألا يُستمع، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا». (فتح الباري ٥٠٩١).

والمرأة الصالحة هي خير ما يكتنز، لما رُوي عن ثوبان قال: لما نزل في الفضة والذهب ما نزل، قالوا: فأي المال نتخذ ؟ فقال ﷺ: «ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة مؤمنةً تعين أحدكم على أمر الآخرة». (صحيح الجامع برقم ٥٢٣١).

ولما رواه مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة». (مسلم ١٤٦٧).

وعن سعد بن أبي وقاص أن النبي ﷺ قال: «أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاء: الجار السوء، والمرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن الضيق». (الصحيحة برقم ٢٨٣).

ولما كانت المرأة الصالحة الديّنة هي من خير الكنوز وخير المتاع ومن مفاتيح السعادة، كان السلف الصالح يحرصون على الزواج بها تحصيلاً لما سبق ورجاءً أن يرزقوا بذرية صالحة، ومن أمثلة ذلك ما ورد في الصحيحين من حديث سهل بن سعد

رضي الله عنه في المرأة التي جاءت لتهب نفسها للنبي ﷺ ولم يقض فيها النبي ﷺ شيئًا، فاختارها رجل من أصحابه وزوجها له النبي ﷺ بقوله: «فقد ملكتكها بما معك من القرآن». وفاز الصحابي بزوجة أثنى عليها القرآن بالإيمان بقوله تعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما مر ذات ليلة فسمع امرأة تقول لابنة لها: قومي إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء، فأجابت الفتاة: يا أماه، أو ما علمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين، قالت المرأة: وما كان من عزمة أمير المؤمنين يا بنية ؟ قالت: إنه أمر مناديًا فنادى: لا يشاب اللبن بالماء، فردت المرأة قائلة: يا بنية قومي إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك في موضع لا يراك عمر ولا منادي عمر، فردت الفتاة على الفور: يا أماه، إن كان عمر لا يعلم فإله عمر يعلم، والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء. فلما أصبح عمر رضي الله عنه قال لابنه عاصم: اذهب إلى مكان كذا وكذا فإن هناك صبية فإن لم تكن مشغولة فتزوج بها لعل الله أن يرزقك منها نسمة مباركة. وصدقت فراسة عمر رضي الله عنه وتزوج عاصم بها فولدت له أم عاصم، تزوجها عبد العزيز بن مروان، فولدت له عمر بن عبد العزيز الخليفة والأمير العادل.

(الرياض النضرة في مناقب العشرة).

وكذا الحال بالنسبة للزوج الصالح صاحب الدين والخلق، كان السلف الصالح لا يتحرجون من عَرْض بناتهم على الصالحين كما ذكر ذلك القرآن على لسان صالح مدين لما عرض إحدى ابنتيه على موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧]. وبوّب البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب النكاح بابًا سماه: عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، وذكر حديثًا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه حين تأيمت حفصة رضي الله عنها من خُنيس بن حذافة السهمي رضي الله عنه- وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فاستشهد ببدر- فقال عمر: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة فقال: سأنظر في أمري. فلبث ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا، قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت تزوجت حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إليّ شيئًا، وكنت أَوْجَد عليه مني على عثمان، فلبث ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وَجَدتَ عليّ حين عرضت عليّ حفصة فلم أرجع إليك شيئًا ؟ قال عمر: نعم. قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ إلا أني كنت علمتُ أن رسول الله ﷺ قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتُها. [فتح الباري ٥١٢٢].

ويقول ابن حجر في تعليقه على الحديث: وفيه عرض الإنسان بنته وغيرها من مولياته على من يعتقد خيره وصلاحه ؛ لما فيه من النفع العائد على المعروض عليه، وأنه لا استحياء في ذلك، وفيه أنه لا بأس بعرضها عليه ولو كان متزوجًا ؛ لأن أبا بكر كان حينئذ متزوجًا، وذكر أيضًا رواية عند الطبري وصححه هو والحاكم (أن عثمان خطب إلى عمر بنته فرده، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فلما راح إليه عمر قال: يا عمر، ألا أدلك على ختَن خير من عثمان وأدل عثمان على ختَن خير منك ؟ قال: نعم يا نبي الله، قال: تزوجني بنتك وأزوج عثمان بنتي». قال الحافظ الضياء: إسناده لا بأس به.

(فتح الباري ٩ ص٨٢، ٨٣ بتصرف).

وكذا فعل سعيد بن المسيب، قال أبو وَدَاعة: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أيامًا، فلما جئتُهُ قال: أين كنت؟ قلت: توفيت زوجتي فاشتغلت بها، فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها، فلما أردت أن أقوم، قال: هل أحدثت امرأةً غيرها. فقلت: يرحمك الله، ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟! قال: إن فعلتُ تفعلُ. قلت: نعم، ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وزوجني ابنته على درهمين، وفي مساء ذلك اليوم إذا بالباب يُقرع، فقلت: من هذا؟ فقال: سعيد، ففكرت في كل إنسان أعرفه اسمُه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وفتحت الباب وإذا سعيد بن المسيب، فظننت أنه بدا له، فقلت: فما تأمرني، قال: رأيتك رجلاً عزبًا فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه زوجتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم وضعها ورد الباب.

(موارد الظمآن لدروس الزمان ٤/٢٢٨، ٢٢٩).

وكذا حدث لوالد الإمام عبد الله بن المبارك، كان أبوه المبارك يحرس بستانًا ولم يأكل منه رمانة واحدة، وجاءه صاحب البستان يومًا ومعه أصحابه وطلب منه رمانًا حلوًا فأتاه برمان حامض، فقال له صاحب البستان: ما تعرف الحلو من الحامض؟ قال: لم تأذن لي أن آكل حتى أعرف الحلو من الحامض، فقال له صاحب البستان: عندي ابنة واحدة فلمن أزوجها ؟ فقال: اليهود يزوجون للمال، والنصارى للجمال، والعرب للحسب، والمسلمون يزوجون للتقوى، فمن أي الأصناف أنت زوّج ابنتك للصنف الذي أنت منه، فقال: وهل يوجد أتقى لله منك، ثم زوجه ابنته.

(الجزاء من جنس العمل ٢/١٠٦).

فالحرص الحرص على اختيار الدَّيِّن من الرجال والدَّيِّنة من النساء، وعدم الانخداع بالصور والمناظر الحسنة دون البحث والتفتيش عن الدين والتقوى.

وللحديث بقية بإذن الله تعالى.

دراسات شرعية

المنهج الإسلامي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وبعد:

رأينا أن المنهج الإسلامي في وقاية المجتمعات من الفاحشة ينتظم حياة المسلم كلها في يسره وعسره، فالضوابط محكمة والوسائل لها أحكام الغايات، والكل يصبُّ في طهر المجتمع ونقائه، فعرضنا لحالات الإعسار بين الزوجين، ورأينا كيفية علاج نشوز المرأة والرجل قبل استفحاله، ثم انتقلنا إلى الطلاق، وأنه من محاسن شرع الله تعالى لسدٍّ باب الشرور والفساد إذا استحالت الحياة الزوجية. ونستأنف البحث- إن شاء الله تعالى-.

الظهار

مشتق من الظهر، وهو أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، يريد تحريمها عليه، وقد كان الظهار في الجاهلية طلاقًا، فلما جاء الإسلام أبطله وأنكره لما فيه من تزوير وقلب للحقائق فإنها لا تصير أمه أبدًا.

وقد أجمع العلماء على حرمة الظهار، فلا يجوز أن يظاهر الرجل من زوجته ؛ لأن الله تعالى سمَّاه منكرًا من القول وزورًا.

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾ [المجادلة: ٢].

وفي أسباب نزول الآيات عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة، قالت: ظاهر مني زوجي أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: اتق الله، فإنه ابن عمك، فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ إلى الغرض. فقال: يعتق رقبة، قالت: لا يجد، قال: فيصوم شهرين متتابعين، قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكينًا، قالت: ما عنده من شيء يتصدق به، قالت: فأتي ساعتئذ بعَرَق (وهو المكتل فيه تمر. قلت: يا رسول الله، فإني أعينه بعرق آخر. قال: قد أحسنت، اذهبي فاطعمي بها عنه ستين مسكينًا، وارجعي إلى ابن عمك. (صحيح أبي داود).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى عليّ بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونثرت له بطني، حتى إذا كبرت سني، وانقطع ولدي ظاهرني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الكلمات: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (صحيح ابن ماجه).

كفارة الظهار

قال الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٢، ٤].

عتق الرقبة: والرقبة عند الجمهور تكون مؤمنة، وذلك مقيَّد بما في كفارة القتل، وعند أبي حنيفة عدم اعتبار أنها مؤمنة، ولأحمد رواية ثانية أنه تجزئ رقبة ذمية فيما عدا كفارة القتل. (المغني، ونيل الأوطار).

في وقاية المجتمعات من الفاحشة

الحلقة الحادية عشر

إعداد/ متولي البراجيلي

صيام شهرين متتابعين: لو أفطر فيهما بغير عذر ابتدأ صومه من جديد، ولو تخلل الصيام صيام رمضان فإنه لا يقطع التتابع، فيبنى على ما صامه قبل رمضان، يعني مثلاً صام شهرًا قبل رمضان ثم جاء رمضان فصامه فإنه بعد ذلك يصوم الشهر الآخر بعد رمضان.

وكذلك لو أفطر فطر واجب كفطر يوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى وأيام التشريق الثلاثة، فإن ذلك أيضًا لا يقطع التتابع، بل يكمل صيامه بعد إفطار هذه الأيام، وإذا أفطر ناسيًا أو مكرهًا أو لعذر يبيح له الفطر لم ينقطع التتابع.

إطعام ستين مسكينًا: وذلك بأن يطعمهم مرة واحدة مشبعة لكل مسكين من غالب قوت البلد، سواء كان الطعام مطهيًا أو غير مطهي، (والأفضل أن يكون مطهيًا حتى يكفيهم مؤونة الطهي)، والجمهور قالوا باشتراط العدد المذكور في الآيات، وهو إطعام ستين مسكينًا فلا يجزئ لو أطعم مسكينًا واحدًا ستين يومًا. (وقال أبو حنيفة: يجزئ إطعام واحد ستين يومًا كما في نيل الأوطار).

مسائل حول الظهار

١- الحرمة الشديدة للظهار لأن الله تعالى سمَّاه منكرًا من القول وزورًا، وأنكر على المظاهر إذ أنه ظالم ومتعدٍ على شرع ربه أولاً عندما جعل ما أحلَّ الله له كمن حُرِّم عليه تأبيدًا، وثانيًا على زوجته التي هي مأمور بحسن عشرتها والإحسان إليها والتي هي سكن له، عندما يجعلها كأمه فلا مسيس ولا اقتراب.

٢- من ظاهر من امرأته مدة محددة كيوم أو شهر أو نحو ذلك، فقيَّد الظهار بزمن، فقال (مثلاً): أنتِ عليَّ كظهر أمِّي شهرًا، إن برَّ بيمينه فلا كفارة عليه (مع إثمه كما سلف)، وإن أصاب زوجته قبل الشهر (المدة التي حددَّها) لزمته كفارة الظهار.

وفي الحديث عن سلمة بن صخر البياضي- رضي الله عنه- قال: كنت امرأ استكثر من النساء لا أرى رجلاً كان يصيب من ذلك ما أصيب، فلما دخل رمضان ظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان، فبينما هي تحدثني ذات ليلة انكشف لي منها شيء، فوثبت عليها فواقعتها، فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت لهم: سلوا لي رسول الله ﷺ. فقالوا: ما كنا نفعل. إذًا ينزل فينا كتابًا، أو يكون فينا من رسول الله ﷺ قول، فيبقى علينا عاره، ولكن سوف نسلمك بجريرتك اذهب أنت فاذكر شأنك لرسول الله ﷺ قال: فخرجت حتى جئته، فأخبرته الخبر.

فقال رسول الله ﷺ: أنت بذاك ؟ فقلت: أنا بذاك، وها أنا يا رسول الله، صابر لحكم الله عليَّ، قال: فاعتق رقبة، قال: فقلت: والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك إلا رقبتي هذه. قال: فصم شهرين متتابعين. قال: قلت: يا رسول الله، وهل دخل عليَّ ما دخل من البلاء إلا بالصوم ؟ قال: فتصدق أو أطعم ستين مسكينًا. قال: قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه ما لنا عشاء. قال: فاذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له، فليدفعها إليك، وأطعم ستين مسكينًا، وانتفع ببقيتها. (صحيح ابن ماجه وغيره).

قول النبي ﷺ لسلمة: أنت بذاك: أي أنت متلبس بذلك الفعل، والباء زائدة. أي أنت فاعل ذلك الفعل.

٣- لو قال لزوجته: أنت عليَّ كظهر أختي أو ابنتي أو عمتي أو أمي من الرضاع أو بمن تحرم عليه تأبيدًا، فهل يلحق هذا بالظهار من أمِّه ؟

هو ظهار عند أكثر العلماء مالك وأبي حنيفة وأحمد والشافعي في الجديد (وفي مذهب الشافعي في القديم لا يكون ظهارًا إلا بالأم أو الجدة).

والراجح- والله أعلم- ما عليه أكثر العلماء، وذلك لأن العلة واحدة بين الأم وبين المحرمات على التأبيد.

وكذلك إذا شبهها بعضو آخر غير الظهر، كأن يقول: أنت عليَّ كرأس ابنتي أو أختي، لأنه في جميع ذلك شبه المرأة بمن تحرم عليه على التأبيد، قال ابن قدامة: وهذا قول أكثر أهل العلم.

وقال أبو حنيفة: لا يكون مظاهرًا بذلك إلا إذا كان العضو لا يجوز النظر فيه فهو ظهار: نحو البطن، والفخذ، والفرج. (المغني، وتفسير القرطبي، وبداية المجتهد).

أمَّا إن ظاهر بمن تحرم عليه مؤقتًا، ففيه خلاف بين أهل العلم، فعن أحمد روايتان:

١- أنه ظهار، وهو قول أصحاب مالك.

٢- أنه ليس بظهار وهو مذهب الشافعي وأبي حنيفة. والراجح- والله أعلم- أنه ليس بظهار لأن العلة مختلفة.

٤- إن قال: هي عليَّ كأمي ولم يذكر الظهر ونوى به الظهار، فهو ظهار في قول عامة العلماء، وقال مالك وإن أراد الطلاق كان مطلقًا البتة، وإن لم يكن له نية في طلاق ولا ظهار كان مظاهرًا، قال ابن القيم في الزاد: من حلف بالظهار يريد به الطلاق، أنه لا يقع طلاقًا. (يعني ليس من ألفاظ الكنايات، بل يقع ظهارًا).

٥- يحرم عليه إتيان الزوجة حتى يكفر كفارة الظهار، وكذا يحرم مقدمات الجماع كتقبيل وضم ونحوه عند جمهور العلماء.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المحرم فقط هو الجماع وليس مقدماته، فيرون جواز ذلك، وقالوا: لأن الآية أرادت (الجماع)، ولعل ذلك هو الراجح. والله أعلم.

٦- الكفارة لا تجب بمجرد الظهار عند الجمهور، فلو مات أحدهما أو فارقها قبل العود، فلا كفارة عليه وأيهما مات ورثه صاحبه في قول الجمهور. (المغني لابن قدامة).

٧- إذا قالت المرأة لزوجها بالظهار، فهو ليس بشيء عند جمهور العلماء.

٨- وجوب الكفارة بالعود، وقد اختلف العلماء في العود على أقوال كثيرة، منها:

١- أنه العزم على الوطء، وهو مشهور قول أبي حنيفة وأصحابه؛ أي يكفي مجرد إرادة الجماع ولو لم يجامع.

ويرى البعض بأن العود معناه: إمساك المرأة، أي عدم طلاقها، وذلك بأن يمسكها بعد الظهار مدة من الزمن يسع أن يطلق فيها فلم يطلق، وهذا مذهب الشافعي.

وقال أحمد ومالك: هو الوطء: أي استحلال المرأة بوطئها (لكن يمنع من الوطء حتى يكفِّر)، وهذا ما رجحه ابن عثيمين في الشرح الممتع. وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ صريح في أن التكفير يلزم كونه من قبل العود إلى المسيس.

وقد جمع الشنقيطي في أضواء البيان بين العزم والوطء نفسه فقال: إن العود له مبدأ ومنتهى، فمبدؤه العزم على الوطء، ومنتهاه الوطء بالفعل، فمن عزم على الوطء فقد عاد بالنية، فتلزمه الكفارة لإباحة الوطء، ومن وطئ بالفعل تحتم في حقه اللزوم، وخالف بالإقدام على الوطء قبل التكفير.

ويدل لهذا قوله ﷺ لما قال: إذا التقا المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: يا رسول الله، قد عرفنا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنه كان حريصًا على قتل صاحبه.

فبيَّن ﷺ أن العزم على الفعل عمل يؤخذ به الإنسان.

وهناك أقوال أخرى في العود يرجع لها في مظانها.

٩- إذا جامع الرجل زوجته قبل الكفارة فهو آثم وعليه التوبة إلى الله تعالى، ولا تسقط الكفارة عنه بذلك، بل يتوب ويعزم على عدم العود حتى يكفِّر، ولا تتضاعف عليه الكفارة، بل تبقى كما هي كفارة واحدة.

١٠- لو جامع زوجته ولم يكن قد كفَّر ومات قبل أن يكفِّر، أُخرج من تركته كفارة ظهار.

١١- لو كرر لفظ الظهار ولم يكن كفَّر عن الأول لزمته كفارة واحدة، وأما إن كفَّر، ثم ظاهر ثانية لزمته كفارة ظهاره الثانية.

١٢- إن قال الرجل لامرأته: أنتِ عليَّ حرام، أو: إن دخلتِ الدار فأنتِ حرام، ثم دخلتها، فيها للعلماء نحو عشرين قولاً...

وقد دلت آية الظهار هذه على أن أقيس الأقوال، وأقربها لظاهر القرآن قول من قال: إن تحريم الزوجة

ظهار، تلزم فيه كفارة الظهار وليس بطلاق.

وإيضاح ذلك: أن قوله: أنتِ عليَّ كظهر أمي، معناه: أنتِ عليَّ حرام، ولا يخفى أن أنت عليَّ حرام مثلها في المعنى كما ترى.

وقال في المغني: وذكر إبراهيم الحربي عن عثمان وابن عباس، وأبي قلابة، وسعيد بن جبير، وميمون بن مهران، والبتي ؛ أنهم قالوا: التحريم ظهار.

وفي فتاوى ابن باز تحريم الرجل لزوجته حكمه حكم الظهار في أصح أقوال أهل العلم، إذا كان تحريمًا منجزًا أو معلقًا على شرط لا يقصد منه الحث أو المنع أو التصديق أو التكذيب، أمَّا تحريم المرأة لزوجها أو تشبيهها له بأحد محارمها حكمه حكم اليمين وليس حكم الظهار وعليها في ذلك كفارة يمين.

وأقرب الأقوال بعد هذا لظاهر القرآن القول بكفارة اليمين، والاستغفار ؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بعد قوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ الآية. (أضواء البيان).

١٣- إذا قال لامرأته: أنتِ عليَّ حرام كظهر أمي، أو: أنتِ عليَّ كظهر أمي حرام: أنه يكون مظاهرًا مطلقًا ولا ينصرف للطلاق، ولو نواه، لأن الصيغة صريحة في الظهار.

والمسألة خلافية- وهذا هو الراجح والله أعلم- وهو ما رجحه الشنقيطي في الأضواء، وكذا القرطبي في تفسيره.

١٤- إذا طلَّق من ظاهر منها ثم تزوجها لم يحل له وطؤها حتى يكفِّر، سواء كان الطلاق ثلاثًا أو أقل منه، وسواء رجعت إليه بعد زوج آخر أو قبله. نص عليه أحمد ومالك وأبو حنيفة وأحد قولي الشافعي، والثاني للشافعي: إن راجعها في العدة فعليه الكفارة، وإن راجعها في غير العدة فلا كفارة عليه. (المغني، والمجموع، وبداية المجتهد).

١٥- هل يدخل الإيلاء على الظهار ؟ بمعنى أن المظاهر يمهل أربعة أشهر (مدة الإيلاء) ثم بعد ذلك يوقف أم لا؟

في المسألة آراء منها: قول أكثر أهل العلم أنه لا يتداخل الحكمان، وقال بعضهم: يدخل الإيلاء على الظهار إن كان يقصد الضرر، وقال آخرون: يدخل على كل حال من غير اعتبار الضرر وتبين منه بانقضاء الأربعة الأشهر. (بداية المجتهد).

١٦- إن وطئ أثناء صيام الشهرين: إن وطئها ليلاً فإنه يفسد ما مضى من صيامه ويبتدئ الشهرين، وبهذا قال مالك وأحمد وأصحاب الرأي، وروى الأثرم عن أحمد أنه قال: إن التتابع لا ينقطع بهذا ويبني، وهو مذهب الشافعي. (المغني لابن قدامة).

١٧- من قال لامرأته: إنها أختي أو أمي على سبيل التوقير والمداعبة، فإنه لا يكون بذلك مظاهرًا.

١٨- الظهار لازم في كل زوجة مدخول بها أو غير مدخول بها على أي الأحوال كانت من كل زوج يجوز طلاقه.

١٩- غلَّظ الله تعالى عقوبة الظهار وهي الكفارة تأديبًا لمن يتلفظ بهذا القول المنكر، ويأتي بما كانت تأتيه الجاهلية حتى يصون للعلاقة الزوجية حرمتها ويحفظ للأم كرامتها، فلا يشبه امرأته بها فيجعل ظهرها كظهرها.

لما في ذلك من تزوير للحقائق وقلب للأوضاع، ولا يقدم على ذلك إلا سيئ الطباع من الرجال، لهذا فإن العقاب أوجع والتأديب أردع.

الإيلاء

لغة: الامتناع باليمين (القسم).

شرعًا: هو الامتناع عن جِماع الزوجة بيمين، سواء حدَّد المدة أم أطلقها، فإن حلف ألاَّ يجامع زوجته انتظرت زوجته أربعة أشهر لعله يرجع عن يمينه فيجامعها، فإن مضت المدة فإنه يؤمر إما أن يجامعها وإما أن يفارقها. وأما إن كانت المدة أقل من أربعة أشهر فلا يطالب بشيء.

يقول الله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦، ٢٢٧].

وقد آلى النبي ﷺ من نسائه شهرًا ؛ فعن أم سلمة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ حلف: لا يدخل على بعض نسائه شهرًا، فلما مضى تسعة وعشرون يومًا غدا عليهن أو راح، فقيل له: يا نبي الله، حلفت ألا تدخل عليهن شهرًا، قال: إن الشهر يكون تسعة وعشرين يومًا. (البخاري).

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: أصبحنا يومًا ونساء النبي ﷺ يبكين، عند كل امرأة منهن أهلها، فخرجت إلى المسجد، فإذا هو ملآن من

الناس فجاء عمر بن الخطاب فصعد إلى النبي ﷺ وهو في غرفة له، فسلَّم فلم يجبه أحد، ثم سلَّم فلم يجبه أحد، ثم سلَّم فلم يجبه أحد، فناداه فدخل على النبي ﷺ، فقال: أطلَّقت نساءك ؟ فقال: لا، ولكن آليت منهن شهرًا، فمكث تسعًا وعشرين ثم دخل على نسائه. (البخاري).

كيفية القسم في الإيلاء

لا خلاف بين أهل العلم أن الحلف بالله أو بصفة من صفاته إيلاءٌ، ثم اختلفوا إن حلف بغير ذلك فلا يكون موليًا عند الشافعي في القديم، وفي الرواية المشهورة عن أحمد، أما عند الشافعي في الجديد ومالك وأبي حنيفة ورواية عن أحمد أن الحلف بغير الله أو صفة من صفاته يقع إيلاءً، قال ابن عباس: كل يمين منعت جماعًا فهي إيلاءٌ، كان يحلف بالطلاق أو العتاق أو غير ذلك. (المغني، وبداية المجتهد).

مسائل حول الإيلاء

١- إذا حلف الرجل ألا يطأ زوجته مدة دون أربعة أشهر، فالأولى أن يكفِّر عن يمينه ويطأها ؛ لقوله ﷺ: من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه.

(متفق عليه).

فإن لم يكفِّر فعليها الصبر حتى ينقضي الأجل الذي سمَّاه، كما صبرت أمهات المؤمنين حتى انقضى الشهر الذي آلى فيه منهن رسول الله ﷺ.

٢- وإذا حلف ألا يطأها أبدًا أو مدة تزيد على أربعة أشهر، فإن كفَّر وعاد إلى وطئها، وإلاَّ انتظرت به حتى تمضي أربعة أشهر ثم طالبته بوطئها أو طلاقها، كما أمر الله تعالى في الآيات.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما كان يقول في الإيلاء الذي سمى الله تعالى: لا يحل لأحد بعد الأجل إلا أن يمسك بالمعروف أو يعزم بالطلاق، كما أمر الله عز وجل. (البخاري).

٣- الطلاق بعد الإيلاء، يكون رجعيًا عند الجمهور سواءً أوقعه بنفسه أو طلق الحاكم عليه، وقال بعض أهل العلم: إنه يكون طلاقًا بائنًا لأنه طلاق للضرر.

٤- عدَّة المولي عنها زوجها كعدة سائر المطلقات عند الجمهور، وقال ابن عباس: لا تلزمها عدَّة إن كانت قد حاضت خلال مدة الإيلاء ثلاث حيض.

٥- في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ الفيء هنا هو الجماع، قال ابن المنذر: فيه الإجماع على أن الفيء هو الجماع.

٦- معظم أهل العلم على أن يوقف بعد الأربعة الأشهر وليس عليه شيء حتى يمضي أربعة أشهر، فإن فاء وإلاَّ طلق، وقال بعض أهل العلم: إذا مضت الأربعة الأشهر فهي تطليقة بائنة.

ولعل الراجح الأول لأنه لم يقم دليل على أنه بائن ولأنه طلاق بلا عوض.

٧- إذا كان الزوج غير قادر على إتيان زوجته لعلة فيه كأن يكون مجبوبًا أو مشلولاً أو نحو ذلك، ثم حلف على زوجته ألا يطأها أكثر من أربعة أشهر، فيرى الجمهور أنه غير مول، لأنه لا يقوى على وطئها في كل الحالات سواء حلف أم لم يحلف.

٨- إذا حلف ألا يطأها حتى تأتي بمحرم، فهو آثم ولا تطيعه الزوجة، قال ابن عثيمين في الشرح الممتع: هذا الإيلاء لا يقع لأنه على شيء محرم.

٩- إذا وطئ الزوج زوجته قبل انقضاء أربعة أشهر (ولم يكن قد حدَّد مدة) لزمته كفارة اليمين ولا شيء عليه غير ذلك، وإذا انقضت الأربعة الأشهر ولم يطأ زوجته، فالذي ذهب إليه الجمهور أنه يوقف ويطالب بالفيئة بجماعها أو بالطلاق، وإذا امتنع عن الطلاق أو الفيئة يرى كثير من أهل العلم أن الحاكم أو القاضي يطلق عليه إذا طلبت المرأة منه تطليقها، فسيتوفي لها حقها بتطليقها، ويرى بعض أهل العلم أنه ليس للحاكم أو القاضي أن يطلِّق ولكن يضيَّق عليه ولو بالحبس حتى يفيء أو يطلق.

١٠- إذا تغيب الزوج عن زوجته لسفر أو علاج لمرض أو نحو ذلك فلا يعد ذلك إيلاءً.

وكما رأيت فإن الله تعالى منع الأزواج من الظهار ومن الإيلاء لأن هذا فيه إضرار بالمرأة وسوء عشرة لها.

وهو من منهج الله تعالى في وقاية المجتمعات من الفاحشة لأنهما قد يؤديان إلى وقوع النفور من الزوجة والتضرر بتعليق زوجها لها مما قد يسوق البعض من ناقصات الإيمان للانزلاق في المحرمات.

وللحديث بقية إن شاء الله.

يوم عاشوراء بين السنة والبدعة

مستفادة من كتاب (الإبداع في مضار الابتداع)

للشيخ/ علي محفوظ - رحمه الله -

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن السنة في يوم عاشوراء الصيام فحسب باتفاق العلماء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا ؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله عز وجل بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى. زاد مسلم في روايته: شكرًا لله تعالى، فنحن نصومه. وعند البخاري في الهجرة: ونحن نصومه تعظيمًا له، قال: «فأنا أحق بموسى منكم». فصامه ﷺ وأمر بصيامه. [متفق عليه].

وليس صيامه ﷺ له تصديقًا لليهود بمجرد قولهم، بل كان يصومه مع قريش ؛ لما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كانت قريش تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه». أي على عادته، «وأمر بصيامه»، في أول السنة الثانية، فإن قدومه بلا ريب كان في ربيع الأول.

والأحقية باعتبار الاشتراك في الرسالة والأخوة في الدين والقرابة الظاهرة دونهم، ولأنه أطوع وأتبع للحق منهم

ويستحب أيضًا صوم تاسوعاء ؛ لقوله ﷺ: «لئن عشتُ إلى قابل لأصومن التاسع». (رواه مسلم).

ومما جاء في الترغيب في صوم عاشوراء ما جاء في مسلم عن أبي قتادة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سُئل عن صيام يوم عاشوراء ؟ فقال: «يكفر السنة الماضية».

◘◘ ما يقع من الناس في يوم عاشوراء ◘◘

ومع وضوح هذه السنة وصحة نسبتها إلى رسول الله ﷺ يقع من الناس في هذا اليوم كثير من البدع، منها ما لا أصل له، ومنها ما يبنى على أحاديث موضوعة أو ضعيفة.

فمن ذلك: اعتبارهم له عيدًا كالأعياد المرسومة للمسلمين بالتوسعة واتخاذ الأطعة الخاصة به، وهذا من تلبيس الشيطان على العامة، فقد ثبت أن يهود خيبر هم الذين اتخذوه عيدًا وكانت تصومه.

روى مسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: «كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدًا، ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم». (مسلم ١١٣١).

و«شارتهم» بالشين المعجمة بلا همز وهي الهيئة الحسنة والجمال: أي يلبسونهم لباسهم الحسن الجميل، فأمرنا الشارع الحكيم بمخالفة يهود خيبر فيه بصوم يوم قبله أو بعده، قال الإمام الشافعي- رحمه الله-: أخبرنا سفيان أنه سمع عبد الله بن أبي زيد يقول: سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: «صوموا التاسع والعاشر ولا تشبهوا باليهود» أي: في إفراد العاشر بالصوم، واتخاذه عيدًا، وفي رواية له عنه: «صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود، وصوموا قبله يومًا أو بعده يومًا». [ضعيف الجامع: ٣٥٠٦].

ولذا قال في «الأم» و«الإملاء» باستحباب صوم الثلاثة، ولم يشرع فيه توسعة في مطعم ولا غيره

لهذه المخالفة، وحديث التوسعة لا أصل له كما سيأتي.

ومن ذلك: الاغتسال والاكتحال، وما رُوِي في الترغيب فيهما لم يصح عن رسول الله ﷺ كحديث ابن عباس رفعه: «من اكتحل بالإثمد يوم عاشوراء لم يرمد أبدًا». [ضعيف الجامع: ٥٤٦٧]، وهو موضوع، وضعه قتلة الحسين رضي الله عنه، قال الإمام أحمد رحمه الله: والاكتحال يوم عاشوراء لم يرد عن رسول الله ﷺ فيه أثر وهو بدعة، وما رُوي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من اغتسل وتطهر يوم عاشوراء لم يمرض في سنته إلا مرض الموت». وضعه أيضًا قتلة الحسين رضي الله عنه.

ومن ذلك: صلاة ركعات بهيئة مخصوصة ليلتها ويومها، ورواية أبي هريرة رضي الله عنه: «من صلى فيه أربع ركعات يقرأ في كل ركعة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ مرة، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إحدى وخمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين عامًا ». (لا أصل له). لم تثبت صحتها، وإليك بيان منشأ هذه الأحاديث إجمالاً وتفصيلاً:

لقد أحدث الشيطان الرجيم بسبب قتل الحسين رضي الله عنه بدعتين:

الأولى: الحزن والنوح واللطم والصراخ والبكاء والعطش وإنشاد المراثي، وما إلى ذلك من سب السلف ولعنهم وإدخال البريء مع المذنب، وقراءة أخبار مثيرة للعواطف مهيجة للفتن وكثير منها كذب، وكان قصد من سن هذه السنة السيئة في ذلك اليوم فتح باب الفتنة والتفريق بين الأمة، وهذا غير جائز بإجماع المسلمين، بل إحداث الجزع والنياحة وتجديد ذلك للمصائب القديمة من أفحش الذنوب وأكبر المحرمات.

الثانية: بدعة السرور والفرح واتخاذ هذا اليوم عيدًا تُلبس فيه ثياب الزينة ويُوسع فيه على العيال، فكل هذا من البدع المكروهة.

والتوسعة وإن كانت مشروعة في الجملة لكن احتف بها ما يقرب من اعتقادها دينًا، فعلى المرشد أن يكون في بيان ذلك حكيمًا حتى لا يكون مثيرًا للفتنة.

وذلك أنه كان بالكوفة قوم من الشيعة يغلون في حب الحسين رضي الله عنه وينتصرون له، رأسهم المختار بن عبيد الكذاب الرافضي الذي ادعى النبوة، وقوم من الناصبة يبغضون عليًا وأولاده، ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي، وقد ثبت في صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «سيكون في ثقيف كذاب ومبير». (مسلم ٢٥٤٥).

«والمبير: المسرف في إهلاك الناس، يقال: بار الرجل يبور بورًا، فهو بائر هالك، وأبار غيره: أهلكه». فكان ذلك الشيعي هو الكذاب وهذا الناصبي هو المبير، فأحدث أولئك الحزن وهؤلاء السرور، ورووا: «أنَّ مَنْ وسع على عياله يوم عاشوراء وسَّع الله عليه سائر سنته». (ضعفه الألباني في المشكاة (١٩٢٦).

وقد سئل الإمام أحمد عن هذا الحديث ؟ فقال: لا أصل له، وليس له سند إلا ما رواه ابن عيينة عن ابن المنتشر وهو كوفي سمعه ورواه عمن لا يعرف، وممن قال: إن حديث التوسعة موضوع الإمام ابن الجوزي عالم الآفا ق وواعظ العراق، ورووا: «أن من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام، وأن من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام».

(ضعيف الجامع ٥٤٦٧).

فصار قوم يستحبون في هذا اليوم الاغتسال والاكتحال والتوسعة على الأهل، وهذه كلها بدع أصلها من خصوم الحسين رضي الله عنه، كما أن بدعة الحزن وما إليه من أحبابه، والكل باطل وبدعة وضلالة.

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي: إنه لم يصح عن النبي ﷺ في يوم عاشوراء غير صومه، وإنما الروافض لما ابتدعوا المأتم وإظهار الحزن يوم عاشوراء لكون الحسين رضي الله عنه قُتل فيه ابتدع جهلة أهل السنة إظهار السرور واتخاذ الحبوب والأطعمة والاكتحال، ورووا أحاديث موضوعة في الاكتحال والتوسعة على العيال، وقد جزم الحافظ السخاوي في «المقاصد الحسنة» بوضع حديث الاكتحال وتبعه غيره منهم مثلاً على القاري في كتاب «الموضوعات»، ونقل الحافظ السيوطي في «الدرر المنتثرة» عن الحاكم أنه منكر، وقال العجلوني في «كشف الخفاء ومزيل الإلباس»، قال الحاكم أيضًا: الاكتحال يوم عاشوراء لم يرد عن النبي ﷺ فيه أثر وهو بدعة. اهـ.

وجملة القول: لم يستحب أحد من الأئمة الأربعة ولا غيرهم شيئًا من ذلك لعدم الدليل الشرعي، بل المستحب يوم عاشوراء عند جميع العلماء هو صومه مع صوم يوم قبله كما عرفت.

والله أعلم.

وقفات مع كرامات الأولياء

إعداد المستشار/

أحمد السيد إبراهيم

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وبعد:

فإن من أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: «ومن أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة، والتأثيرات، والمأثور عن سلف الأمة في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة». اهـ.

ولنا مع كرامات الأولياء الوقفات التالية:

الوقفة الأولى: تعريف الكرامة

قال الشيخ خليل هراس: «الكرامة أمر خارق للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه معونة له على أمر ديني أو دنيوي، ويفرق بينها وبين المعجزة بأن المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة بخلاف الكرامة». اهـ.

وهذا التعريف هو المعنى الاصطلاحي وإلا فالكرامة شرعًا ما يكرم الله به أولياءه، وأعظم أنواعها وأفضلها الإكرام بطاعته سبحانه وطاعة رسوله ﷺ، كما أن أفضل الإلهام وأنفعه إلهام الرشد، وأعلى الكشف ؛ الكشف عن الحق خاصة عند اختلاف الناس.

الوقفة الثانية: الفرق بينها وبين المعجزة والسحر

أولاً: المعجزة: هي ما يجريه الله على أيدي الأنبياء والرسل وهي تقترن بدعوى الرسالة، والحقيقة أن كرامات الأولياء من جملة معجزات الأنبياء ؛ لأنهم ما نالوا هذه المنزلة إلا باتباعهم.

ثانيًا: السحر: هو ما يقع من السحرة والكهان، وأظهر ما فيه صفاتهم القبيحة وأفعالهم المخالفة للشرع، قال تعالى: ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]. كما أن معجزات الأنبياء لا يقدر على مثلها، وفي قصة سحرة فرعون أوضح الدليل على أن جنس معجزات الأنبياء لا يشبه أفعال السحرة بحيث يختلط الأمر، ويلتبس على الناس، وإن كان الأمر البين في التفرقة بين الولي وبين أفعال السحرة والكهان من أولياء الشيطان هو الطاعة والالتزام بالسنة، كما رُوي عن الشافعي رحمه الله: «إذا رأيتم الرجل يطير في الهواء أو يسير على الماء فلا تصدقوه حتى تروا اتباعه السنة».

الوقفة الثالثة: الدليل على وقوع كرامات الأولياء

أولاً: من القرآن الكريم:

١- قصة أصحاب الكهف الذين عاشوا في قوم مشركين وهم قد آمنوا بالله وخافوا أن يغلبوا على أمرهم فخرجوا من القرية مهاجرين إلى الله عز وجل، فيسر الله لهم غارًا في جبل، وجه هذا الغار إلى الشمال فلا تدخل الشمس عليهم فتفسد أبدانهم، ولا يحرمون منها إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين، وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال، وهم في فجوة منه، وبقوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا وهم نائمون، يقلبهم الله ذات اليمين وذات الشمال في الصيف والشتاء لم يزعجهم الحر ولم يؤلمهم البرد، ما جاعوا وما عطشوا وما ملوا من النوم، فهذه كرامة بلا شك بقوا كذلك حتى بعثهم الله وقد زال الشرك عن القرية فسلموا منه، ذكر الله قصتهم في سورة الكهف بقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: ٩، ١٠].

٢- قصة مريم عليها السلام، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران: ٣٧]، قال غير واحد من السلف: «يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف».

٣- قصة الرجل الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه كرامة له، قال تعالى: ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ثانيًا: من السنة:

الكرامة كثيرة سواء للأمم السابقة أو لأمته ﷺ،

وهي أكثر من أن تحصى ومن أراد الاطلاع على كرامات الأولياء فعليه بصحيح البخاري في كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

الوقفة الرابعة: كرامة الولي آية للنبي الذي آمن به الولي

قال العلماء: «كل كرامة لولي فهي آية للنبي الذي اتبعه : لأن الكرامة شهادة من الله عز وجل أن طريق هذا الولي طريق صحيح، وعلى أن ما جرى من الكرامات للأولياء من هذه الأمة فإنها آيات لرسول الله ﷺ، ولهذا قال بعض العلماء: ما من آية لنبي من الأنبياء السابقين إلا ولرسول الله ﷺ مثلها.

فأورد عليهم أن الرسول ﷺ لم يُلق في النار فيخرج حيًا كما حصل ذلك لإبراهيم.

فأجيب بأنه جرى ذلك لأتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، كما ذكره المؤرخون عن أبي مسلم الخولاني فقد ذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢٠٨/٤) أن الأسود العنسي المتنبي طوع أبا مسلم الخولاني في النار فلم تضره فكان يشبه بالخليل عليه السلام، وإذا أكرم أتباعَ الرسول عليه الصلاة والسلام بجنس هذا الأمر الخارق للعادة دل ذلك على أن دين النبي ﷺ حق، لأنه مؤيد بجنس هذه الآ ية التي حصلت لإبراهيم.

وأورد عليهم أن البحر لم يفلق للنبي ﷺ وقد فلق لموسى عليه السلام ! فأجيب بأنه حصل لهذه الأمة فيما يتعلق بالبحر شيء أعظم مما حصل لموسى، وهو المشي على الماء، فقد روى أبو نعيم في الحلية (٧/١) عن سهم بن منجاب قال: غزونا مع العلاء بن الحضرمي فسرنا حتى أتينا دارين والبحر بيننا وبينهم، فقال: يا عليم، يا حليم، يا علي، يا عظيم، إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك، اللهم فاجعل لنا إليهم سبيلاً فنقتحم البحر، فخضنا ما يبلغ لبدننا الماء.

وأورد عليهم أن من آيات عيسى عليه السلام إحياء الموتى، ولم يقع ذلك لرسول الله ﷺ، فأجيب بأنه وقع لأتباع الرسول ﷺ ذلك، فقد ذكر ابن الجوزي في صفة الصفوة وابن المبارك في الزهد (٢٧١/٣، ٢٩٠) قصة صلة بن أشيم الذي أحيا الله تعالى له فرسه بعد أن ماتت حتى وصله إلى أهله، فلما وصل لأهله قال لابنه: ألق السرج عن الفرس فإنها عرية، فلما ألقي السرج عنها سقطت ميتة.

وأورد عليهم إبراء الأكمه والأبرص فأجيب بأنه حصل من النبي ﷺ أن قتادة بن النعمان لما جرح في أحد: فدرت عينه حتى صارت على خده، فجاء النبي ﷺ فأخذها بيده ووضعها في مكانها فصارت أحسن عينيه.

(أخرجه الحافظ ابن حجر في الإصابة ٢١٧/٣).

الوقفة الخامسة: دلالات الكرامات

قال العلامة ابن العثيمين رحمه الله: «أولاً: بيان كمال قدرة الله عز وجل حيث حصل هذا الخارق للعادة بأمر الله. ثانيًا:... القائلين بأن الطبيعة هي التي تفعل لأنه لو كانت الطبيعة هي التي تفعل لكانت الطبيعة على نسق واحد لا يتغير، فإذا تغيرت العادات والطبيعة دل على أن للكون مدبرًا وخالقًا. ثالثًا: أنها للنبي المتبوع. رابعًا أن فيها تثبيتًا وكرامة لهذا الولي». اهـ.

الوقفة السادسة: كرامات الأولياء الدعاء

ليس بمعنى التصديق بكرامات الأولياء أنه يجوز دعاؤهم والاستغاثة بهم أو الاستغاثة بهم على الغيب أو سؤالهم عن المغيبات، فهذا كله من الشرك البين بأدلة القرآن القطعية، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]. أما طلب الدعاء من الصالحين فهو مشروع حال حياتهم وفي حضورهم، وأما بعد وفاتهم أو في غيابهم فهذا الطلب من البدع التي لم يفعلها أحد من السلف ولم يقل بها أحد من أهل العلم، وليس معنى ذلك إنكار الكرامة للولي بعد موته، فمن الكرامات ما يقع بعد الموت، كحفظ البدن من التحلل والبلى لأجساد الشهداء، وكما في قصة عاصم بن ثابت الأنصاري أن النحل حمى بدنه بعد استشهاده من أن يصل إليه الكفار. رواه مسلم.

ولكن الكرامة شيء يكرمهم الله به وليس سببًا لجواز سؤالهم وطلب الحاجات منهم على الغيب.

الوقفة السابعة: كرامة الولي لا تعني العصمة له

يلزم التنبيه إلى أن الإلهام أو الكشف في حق الولي لا يدل على عصمته، بل يحتمل الخطأ والصواب كالرؤى فسيد الملهمين عمر بن خطاب رضي الله عنه أخطأ يوم الحديبية، وكان ما حدثته به نفسه وسوسة عمل لها أعمالاً كما قال (يعني ليكفرها)، ولهذا لم يحتج عمر رضي الله عنه على أحد بأنه محدث أو ملهم، فالإلهام والكشف والرؤى ليس حجة شرعية يصح العمل بها، لكن قد يستانس بها ووقع خوارق العادات لأحد الأولياء لا يعني عصمته أو صحة كل ما يقول به فلا عصمة لأحد بعد رسول الله ﷺ.

أحكام سجود السهو

إعداد / صلاح نجيب الدق

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريكٌ في الملك، وخلق كل شيء فقدره تقديرًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن السجود دليل الخضوع لرب العالمين، وهو من أعظم العبادات التي يستطيع المسلم أن يتقرب بها إلى الله تعالى، ولذلك أحببت أن أذكّر بالأحكام الفقهية المتعلقة بسجود السهو، وسجود التلاوة، وسجود الشكر، وذلك بإيجاز شديد، فأقول وبالله التوفيق:

سجود السهو

معنى سجود السهو:

السجود لغة: الخضوع والتذلل.

(لسان العرب ٢/١٩٤٢).

السهو لغة: نسيان الشيء، والغفلة عنه، وذهاب القلب عنه إلى غيره.

والسهو في الصلاة: الغفلة عن شيء منها.

(لسان العرب ٢/٢١٣٧).

سجود السهو شرعًا: هو ما يكون في آخر الصلاة أو بعدها لجبر خلل، بترك بعض مأمور به أو فعل بعض منهي عنه دون تعمد.

(الموسوعة الفقهية ٢/٢٣٤).

مشروعية سجود السهو:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا نودي بالأذان أدبر الشيطان له ضُراط (صوت يخرجه الشيطان)، حتى لا يسمع الأذان، فإذا قضي الأذان أقبل، فإذا ثُوب بها (أقيم للصلاة) أدبر، فإذا قضي التثويب أقبل حتى يخطر بين المرء ونفسه، يقول اذكر كذا وكذا. لما لم يكن يذكر، حتى يظل الرجل لا يدري كم صلى ثلاثًا أو أربعًا، فإذا لم يدر أحدكم كم صلى فليسجد سجدتين وهو جالس».

(البخاري ح١٢٣١، ومسلم ح٣٨٩).

-عن عبد الله ابن بجينة أن رسول الله ﷺ قام من صلاة الظهر وعليه جلوس (أي لم يقرأ التشهد الأول)، فلما أتم صلاته سجد سجدتين يكبر في كل سجدة، وهو جالس قبل أن يسلم، وسجدهما الناس معه مكان ما نسي من الجلوس. (البخاري ح١٢٣٤، ومسلم ح٥٧٠).

أسباب سجود السهو:

نجمل أسباب سجود السهو فيما يلي:

١- حدوث نقص في الصلاة (بشرط ألا يكون ركنًا من أركانها)، كأن ينسى المصلي التشهد الأول.

٢- حدوث زيادة في الصلاة كأن ينسى المصلي فيزيد ركعة أو أكثر في صلاته.

٣- حدوث شك في الصلاة، كأن يشك المصلي: هل صلى ثلاث ركعات أو صلى أربع ركعات.

(مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٣/٣٣).

حالات لا يلتفت إليها المسلم عند الشك في العبادات:

ينبغي للمسلم ألا يلتفت إلى الشك في العبادات في الحالات التالية:

١- أن يكون الشك مجرد وهم، لا حقيقة له، كالوسوسة.

٢- إذا كثر الشك بحيث لا يؤدي عبادة من العبادات إلا حصل فيها شك.

٣- إذا حدث الشك بعد الفراغ من العبادة فلا يهتم به ما لم يتيقن فيعمل بما تيقن منه.

حكم سجود السهو:

سجود السهو في الصلاة واجب؛ لأن النبي ﷺ أمر به وواظب عليه ولم يتركه مرة واحدة.

(المحلى ٤/١٦٠، ١٦١).

روى أبو داود عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قام الإمام في الركعتين، فإن ذكر قبل أن يستوي قائمًا فليجلس، فإن استوى قائمًا فلا يجلس ويسجد سجدتي السهو».

(صحيح أبي داود ح٩٠٩).

سهو الإمام دون المأمومين:

إذا سها الإمام في الصلاة سجد للسهو، ووجب على المأموم متابعته في السجود، سواء سها معه أم انفرد الإمام بالسهو، فإن لم يسجد الإمام مع تنبيه المأمومين له وجب عليهم سجود السهو، وإن لم يسجد الإمام.

(الإجماع لابن المنذر ص٣٨، والمغني لابن قدامة ٣/٤٣٩، ٤٤٠).

سهو المأموم خلف الإمام:

اجمع العلماء على أن المأموم إذا سها خلف الإمام فليس عليه سجود سهو ؛ لأن الإمام يتحمل عن المأموم سهوه، وذلك لأن معاوية بن الحكم السُلمي تكلم خلف النبي ﷺ في الصلاة، ولم يأمره النبي ﷺ بسجود السهو، فإذا سها المأموم بعد مفارقة إمامه، وجب عليه سجود السهو.

(الإجماع لابن المنذر ص٣٨، والمغني لابن قدامة ٢/٤٣٧).

تكرار السهو في صلاة واحدة:

إذا تكرر سهو المصلي في صلاة واحدة فليس عليه إلا سجدتان للسهو فقط عن الجميع.

(المغني لابن قدامة ٣/٤٣٧).

عن هشيم عن مغيرة عن إبراهيم (النخعي)، في الرجل يسهو مرارًا في صلاته؟ قال: تجزيه سجدتان لجميع سهوه. (مصنف ابن أبي شيبة ١/٤٩٤).

نسيان سجود السهو:

إذا نسي المصلي سجود السهو ثم تذكره بعد مدة قصيرة فإنه يسجد للسهو، وأما إذا تذكره بعد مدة طويلة فإنه يجب عليه إعادة الصلاة، وأما من انتقض وضوؤه وعليه سجود سهو، فإنه يجب عليه إعادة الصلاة. (المغني لابن قدامة ٢/٣٤١).

هل سجود السهو قبل السلام أو بعد السلام؟

إذا كان سجود السهو نتيجة النقص في الصلاة فإنه يكون قبل السلام، كمن نسي التشهد الأول، وأما إذا كان سجود السهو نتيجة الزيادة في الصلاة، كمن زاد ركعة أو أكثر فإن سجود السهو يكون بعد السلام.

(مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٤/٣٣).

اعلم أخي المصلي الكريم أن العلماء قد اتفقوا على أن سجود السهو يجزئ قبل السلام وبعده.

(الشرح الممتع لابن عثيمين ٣/٣١٨).

صفة سجود السهو:

سجود السهو سجدتان، يكبر المصلي فيهما عند السجود وعند الرفع منه، ثم يسلم من غير تشهد.

ويقول المصلي في سجود السهو ما يقوله في سجود الصلاة تمامًا، ومن ذلك قول: سبحان ربي الأعلى. ويقول: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، وغير ذلك من أذكار السجود الثابتة عن النبي ﷺ، ويجوز له أن يدعو بما أحب كما يدعو في سجود الصلاة. (فتاوى اللجنة الدائمة ٧/١٤٨، ١٤٩).

سجود التلاوة

معنى سجود التلاوة:

هو السجود الذي سببه تلاوة أو سماع آية من آيات السجود في القرآن الكريم.

(الموسوعة الفقهية ٢٤/٣١٣).

فضل سجود التلاوة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول: يا ويله (يدعو الشيطان على نفسه بالهلاك)، أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار». (مسلم ٨١).

حكم سجود التلاوة:

سجود التلاوة سنة للقارئ والمستمع.

(المغني لابن قدامة ٣/٣٦٤، ٣٦٦).

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قرأ النبي ﷺ «النجم» بمكة، فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفًا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا. فرأيته بعد ذلك قُتل كافرًا.

(البخاري ح١٠٦٧).

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قرأت على

النبي ﷺ: «والنجم»، فلم يسجد فيها.

(البخاري ح١٠٧٣).

عن ربيعة بن عبد الله بن الهدير أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ يوم الجمعة على المنبر بسورة النحل حتى إذا جاء السجدة نزل فسجد وسجد الناس، حتى إذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى إذا جاء السجدة قال: «يأيها الناس، إنا نمر بالسجود فمن سجد فقد أصاب، ومن لم يسجد فلا إثم عليه، ولم يسجد عمر رضي الله عنه».

(البخاري ح١٠٧٧).

حكم الطهارة واستقبال القبلة عند سجود التلاوة

لا تشترط الطهارة ولا استقبال القبلة عند سجود التلاوة، لأنه ليس له حكم الصلاة ولكن الأفضل الطهارة واستقبال القبلة، ويباح للمرأة الحائض عند استماع آية السجدة أو في الحالات التي يباح لها تلاوة القرآن أن تسجد سجود التلاوة.

(المحلى ٥/١٠٦).

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد بـ «النجم» وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. (البخاري ح١٠٧١).

قال ابن حجر العسقلاني: في هذا الحديث دليل على جواز السجود بلا وضوء عند وجود المشقة بالوضوء. (فتح الباري ٢/٦٤٥).

قال البخاري: كان ابن عمر رضي الله عنهما يسجد على غير وضوء.

(البخاري، كتاب سجود القرآن، باب ١٥).

قال الشوكاني: ليس في أحاديث سجود التلاوة ما يدل على اعتبار أن يكون الساجد متوضئًا، وقد كان يسجد معه ﷺ من حضر تلاوته، ولم ينقل أنه أمر أحدًا منهم بالوضوء ويبعد أن يكونوا جميعًا متوضئين. (نيل الأوطار للشوكاني ٣/١٤٥).

سجود التلاوة للمرأة بغير خمار:

إذا قرأت المرأة آية سجدة أو سمعتها، استحب لها أن تسجد بخمارها، فإن سجدت بدون خمار فلا حرج عليها بشرط أن يكون ذلك بين محارمها من الرجال أو بين النساء، لأن سجود التلاوة ليس له حكم الصلاة وإنما هو خضوع لله سبحانه وتقرب إليه مثل بقية الأذكار وأفعال الخير.

(فتاوى اللجنة الدائمة ٧/٣٦٣).

سجود التلاوة في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها:

يجوز سجود التلاوة في الأوقات المنهي عن الصلاة فيها؛ لأن سجود التلاوة ليس له حكم الصلاة. (المحلى ٥/١٠٦، نيل الأوطار ٣/١٤٥).

قراءة الإمام آية فيها سجدة في الصلاة السرية:

يُكره للإمام أن يقرأ آية فيها سجدة في الصلاة السرية؛ لأن هذا قد يؤدي إلى عدم متابعة بعض المأمومين له وخاصة من كان بعيدًا عنه.

(المغني لابن قدامة ٢/٣٧١).

قراءة المصلي آية فيها سجدة في آخر السورة

إذا قرأ المصلي آية فيها سجدة في آخر السورة فإن له ثلاث حالات يختار واحدة منها:

١- يسجد ثم يقوم فيقرأ بعض آيات من سورة أخرى ثم يركع.

٢- يركع من غير أن يسجد للتلاوة.

٣- يسجد للتلاوة ثم يقوم من غير أن يقرأ شيئًا من القرآن ثم يركع. (المغني لابن قدامة ٢/٢٦٩).

عن حصين بن سبرة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرأ في الفجر بـ «يوسف» فركع، ثم قرأ في الثانية بـ «النجم» ثم قام فسجد ثم قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (مصنف عبد الرزاق ٣/٣٣٩، رقم ٥٨٨٢).

عن نافع أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا قرأ النجم يسجد فيها وهو في الصلاة، فإن لم يسجد ركع. (مصنف عبد الرزاق ٣/٣٤٢ رقم ٥٨٩٢).

سجود التلاوة للراكب والماشي

إذا قرأ أو سمع المريض أو الراكب أو الماشي آية سجدة ولم يتمكن من السجود أو استقبال القبلة، فله أن يومئ برأسه في أي اتجاه. (المغني ٢/٣٧٠).

عن وبرة قال: سألت ابن عمر وأنا مقبل من المدينة عن رجل يقرأ السجدة وهو على الدابة قال: يومئ (أي يخفض رأسه).

(مصنف ابن ابي شيبة ١/٤٥٥).

وعن إبراهيم النخعي في الرجل يقرأ السجدة وهو على دابة، قال: يومئ برأسه إيماءً حيث كان.

(مصنف ابن أبي شيبة ١/٤٥٥).

تكرار قراءة آية فيها سجدة:

إذا قرأ المسلم آية فيها سجدة أو استمع إليها عدة مرات في مجلس واحد، استحب له أن يكرر سجود التلاوة في كل مرة، وله في ذلك أجر عظيم عند الله تعالى، ويمكن أن يؤخر السجود فيسجد مرة واحدة عن الجميع.

قال المرغيناني: من كرر تلاوة سجدة واحدة في مجلس واحد أجزأته سجدة واحدة، فإن قرأها في مجلسه ثم ذهب ورجع فقرأها، سجدها ثانية، وإن لم يكن سجد للأولى فعليه سجدتان.

(الهداية للمرغيناني ١/٨٦).

صفة سجود التلاوة:

سجود التلاوة هو سجدة واحدة يسجدها القارئ والمستمع وذلك بأن يستقبل القبلة (عند القدرة) ويكبر ويقول في سجوده الأذكار التي يقولها في سجود الصلاة مثل: سبحان ربي الأعلى، أو: سبوح قدوس رب الملائكة والروح، ثم يرفع رأسه ويكبر تكبيرة أخرى من غير تشهد ولا تسليم.

(فتاوى اللجنة الدائمة ٧/١٤٨، ١٤٩).

ويستحب عند سجود التلاوة أن يقول المسلم ما جاء في الحديث التالي، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في سجود القرآن بالليل مرارًا: سجد وجهي للذي خلقه، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته. (صحيح أبي داود ح١٣٥٥).

سجود الشكر

معنى سجود الشكر:

الشكر لغة: الاعتراف بالمعروف المسدى إليك، ونشره، والثناء على فاعله. (لسان العرب ٤/٢٢٠).

سجود الشكر شرعًا:

هو سجدة يفعلها المسلم عند حدوث نعمة أو اندفاع نقمة. (الموسوعة الفقهية ٢٤/٢٤٦).

مشروعية سجود السهو:

سجود الشكر مشروع لثبوت ذلك عن النبي ﷺ، وعن أصحابه رضي الله عنهم أجمعين.

عن أبي بكرة عن النبي ﷺ أنه كان إذا جاءه أمر سرور، أو بشر به، خر ساجدًا شاكرًا لله.

(صحيح أبي داود ح٢٤١٢).

وثبت في حديث توبة كعب بن مالك رضي الله عنه أنه سجد شكرًا لله تعالى عندما جاءته البشرى بتوبته من الله. (البخاري ح٤٤١٨، ومسلم ح٢٧٦٩).

وسجد أبو بكر الصديق شكرًا لله عندما بُشر بفتح اليمامة، وجاءه خبر مقتل مسليمة الكذاب.

(السنن الكبرى للبيهقي ٢/٣٧١).

وسجد علي بن أبي طالب شكرًا لله تعالى حينما وجد ذا الثدية بين قتلى الخوارج؛ لأن النبي ﷺ قد أخبر به ووصفه للصحابة. (مسند أحمد ١/١٤٧).

حكم سجود الشكر:

سجود الشكر سنة فعلها النبي ﷺ وأصحابه.

(المغني لابن قدامة ٢/٣٧١).

حكم الطهارة واستقبال القبلة عند سجود الشكر:

لا تشترط الطهارة ولا استقبال القبلة عند سجود الشكر؛ لأنه ليس له حكم الصلاة ولكن الأفضل الطهارة واستقبال القبلة.

(الاختيارات العلمية لابن تيمية ص٢٤٠).

قال الشوكاني- بعد أن ذكر عدة أحاديث في سجود الشكر-: ليس في أحاديث الباب ما يدل على اشتراط الوضوء وطهارة الثياب والمكان.

(نيل الأوطار للشوكاني ٣/١٤٧).

حكم سجود الشكر في الصلاة:

لا يجوز للمسلم أن يسجد للشكر وهو في الصلاة؛ لأن سبب السجود ليس فيها، فإن سجد أثناء الصلاة بطلت صلاته إلا أن يكون ناسيًا أو جاهلاً بتحريم ذلك فلا تبطل صلاته.

(المغني لابن قدامة ٢/٣٧٢، ٣٧٣).

صفة سجود الشكر:

إذا أراد المسلم أن يسجد شكرًا لله تعالى فإنه يستقبل القبلة- عند القدرة- ويكبر ويسجد سجدة واحدة، يحمد الله تعالى فيها ويسبحه ثم يرفع رأسه ويكبر تكبيرة أخرى من غير تشهد ولا تسليم.

(الموسوعة الفقهية ٢٤/٢٤٨، ٢٤٩).

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مفاجأة
كبرى

التوحيد

مجلدات
مجلدات
مجلدات
مجلدات
مجلدات
مجلدات
مجلدات

٣٦ عاماً
٣٦ عاماً
٣٦ عاماً
٣٦ عاماً
٣٦ عاماً
٣٦ عاماً
٣٦ عاماً

ميراث الأنبياء

الكنز الذي يقتنيه كل مسلم

- تعلن مجلة التوحيد عن وجود مجلدات التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون:
سعر المجلد لأي سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٢٠ جنيهاً مصرياً، وفروع أنصار السنة ١٨ جنيهاً مصرياً.
- ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية. والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية.
- لأول مرة نقدم للقارئ كرتونة كاملة تحتوي على ٣٦ مجلداً من مجلة التوحيد عن ٣٦ سنة كاملة.
- ٦٦٠ جنيه للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر.
٢٢٠ دولار شاملة سعر الشحن لمن يطلبها خارج مصر.
- وقريباً انتظروا المجلد الجديد لعام ١٤٢٨هـ لينضم إلى موسوعة التوحيد في ستة وثلاثين عاماً من رحلة التوحيد لنشر التوحيد.

علماً بأن منفذ البيع الوحيد في المركز العام هو الدور السابع مقر مجلة التوحيد

نحن
بانتظاركم

دار الإبانة
للنشر والتوزيع

تهنئ الأمة الإسلامية بحلول العام الهجري الجديد
وتعلن عن كتاب

طبعة فاخرة
ورق مستورد

الإبانة
عن أصول الديانة

فقط
٦٥ ج
في مجلدين

للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل بن أبي البشر الأشعري

ولأول مرة
يطبع الكتاب على نسخ خطية

حققه وعلق عليه
أبو عمرو محمد بن علي بن ريحان

ولأول مرة
تبيين ألفاظه العقدية بياناً شافياً

تقرأ في هذا الكتاب

مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في المسائل التالية:-

- رؤية الله تعالى
- الجنة والنار
- لله تعالى يد
- لله تعالى السمع والبصر
- الإستواء على العرش
- أسماء الله تعالى ليست غيره
- القضاء والقدر
- كلام الله غير مخلوق
- عذاب القبر
- الحوض و الميزان
- الصراط
- البعث
- الإيمان قول وعمل يزيد وينقص
- الموقف
- الإيمان والإسلام
- الكف عما شجر بين الصحابة
- طاعة الأئمة
- الرد على أهل البدع والأهواء من المعتزلة والحرورية

صوابي

دار الإبانة للنشر والتوزيع: ١٤ش البيطار - خلف الجامع الأزهر
معرض الكتاب أمام المسجد سرايا - ألمانيا (أ) - ت: ٢٥٠٦١١٨١- ٠١١٣٤٣٤٧٤٠
توزيع دار بن حزم - القاهرة - ٢٢درب الأتراك ت: ٢٥١٤٣١٤١- ٢٥١١١٧٥٠